

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة مولود معمري، تيزي-وزو  
كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة العربية وآدابها



التخصص: دراسات بلاغية

## مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر

عنوان المذكرة:

النظرية الجديدة للاستعارة عند أمبيرتو إيكو.

إعداد:

سميرة لعرفي.  
كريمة أعريب.

إشراف:

أ. د. آمنة بلعلي.

اللجنة المناقشة:

رئيسا.	جامعة تيزي وزو	أستاذ محاضر "ب"	د. عمر بن دحمان
مشرفا ومقررا.	جامعة تيزي وزو	أستاذة التعليم العالي	أ.د. آمنة بلعلي
ممتحنة.	جامعة تيزي وزو	أستاذة مساعدة "ب"	أ. فريزة رافيل

السنة الجامعية: 2014م/2015م

# كلمة شكر

نشكر الله عزّ وجلّ الذي أعاننا على إكمال هذا البحث، كما نتوجّه بالشكر  
الجزيل إلى أستاذتنا الفاضلة " د. آمنة بلعلّى " التي ساعدتنا كثيرا على إتمام هذا  
العمل، إذ لم تدخّر أيّ جهد في توجيهنا وإرشادنا. فنقول لها شكرا أستاذتي على  
صبرك معنا.

كما نتوجّه بالشكر كذلك إلى جميع الأساتذة الذين ساعدونا بتوجهاتهم، ومدّهم لنا  
بالمراجع التي استفدنا منها في بحثنا هذا.

سميرة لعرفي.

كريمة أعريب.

# إهداء

إلى كلّ من سطرّ العلم هدفاً واختار ريشة الدرب  
العتيق.

سميرة لعرفي.

كريمة أعريب.

الاستعارة ظاهرة متغلغلة في النشاط اللفظي التحليلي، وهي تمثل في الوقت الراهن أكثر الظواهر اللغوية خضوعاً للدراسة في إطار الدراسات اللغوية بوجه خاص والدراسات الاجتماعية والإنسانية بوجه عام، وتحولت دراسة الاستعارة بالفعل على مدار عقود إلى حقل تتشارك فيه علوم اللغة بفروعها المختلفة، وعلوم الأدب، والبلاغة والفلسفة، وعلم النفس والاجتماعية، والسياسة والقانون، والاتصال. وكان كذلك متبوعاً أو مصحوباً بتطور هائل في مناهج دراستها، والنظرية المفسرة لعملها.

إن الاستعارة ليست مجرد زينة أو زخرفة للكلام، كما أنها ليست حكراً على النصوص الأدبية، فهي تلك الظاهرة اللغوية التي نلجأ إليها إذا ما أردنا الحديث عن شيء من خلال استخدام شيء آخر. لها وظائف عديدة تقوم بها، ووجودها أساسي في كثير من أشكال الاتصال المختلفة، فهي أداة أساسية لفهم العالم والتفكير فيه، وللتحدث عنه، كما أنها موغلة في كل كلام أو نص بشري بغض النظر عن قيمته الأدبية، أو اللغة التي كتب بها أو الثقافة التي يعبر عنها. وبذلك فالاستعارة يمكن أن تزيد من الوعي بالدور الذي تلعبه في صياغة طرقنا التقليدية في الكلام والتفكير، و بذلك يكون للأفراد قدرة أكبر على ملاحظة التعبيرات الاستعارية وهكذا فإن جزءاً من عالما الذي نعيش فيه، قد نستطيع تغييره بواسطة تغيير الاستعارات التي نستخدمها في وصفه وتحليله والكلام عنه.

بالتالي نجد البلاغة الجديدة قد جعلت الاستعارة تؤدي دوراً تواصلياً، فنحن نعيش ونحيا ونتواصل ونتعامل بها يومياً فالاستعارة تعمل على تنظيم معارفنا وسلوكات حياتنا وتكشف أشكال التفاعل داخل المجتمع فنفهم بنيته ونظامه. والاهتمام بالاستعارة هو الاهتمام قبل كل شيء بالذات البشرية، فهي تحمل كل ممارساتها الاجتماعية والايديولوجية والثقافية وتعكس تفكيره وتمنح لها نسفاً لفهم الأشياء، و بذلك لا يقتصر

مفهومها على أنها مجرد زخرف لفظي ما دامت لا ترتبط بالجانب اللغوي، بل تقترب بالعلاقات الفكرية التي يقوم بها المتلقي.

ودراستنا للاستعارة في هذا البحث تركز على محاولة إدراك المدى الذي وصلت إليه الدراسات البلاغية والأدبية في فهم الاستعارة وطبيعتها، إبداعها الفني وما الجديد الذي جاءت به البلاغة الجديدة من خلال ربط الاستعارة ب السيميائيات وكذا ربط تأويلها بالموسوعة الثقافية. وعليه فهي محاولة لمعرفة ما أضافته الدراسة الحديثة في بحثها الاستعارة وطبيعة الصلة القائمة بينهما. مما يحدد النظرة القديمة ويوضح النظرة الحديثة ويظهر جهود الباحثين على مر العصور في هذا الميدان. ولعل ما أعاد النظر في المفاهيم التقليدية للاستعارة وهو ربطها بالتأويل استنادا إلى الموسوعة الثقافية.

فجاح الاستعارة يتوقف على الحجم الاجتماعي الثقافي لموسوعة الأشخاص المؤولين فلا يمكن إنتاج الاستعارة إلا اعتمادا على نسيج ثقافي ثري، ولعل أمبيرتو ايكو من أهم من جدد النظر إلى الاستعارة، فكانت من بين أهم الموضوعات التي شغلته فأعاد قراءة تاريخ البلاغة من خلالها وراجع مفاهيمها عبر العصور واستفاد من الثورة اللسانية والفلسفية والسيميائية المعاصرة للتظير لها. وذلك لما حظي به هذا المفهوم من الاهتمام ودراسته من جهات نظر مختلفة: فلسفية، لسانية، جمالية، نفسية، ولأن الحديث عن الاستعارة معناه الحديث عن النشاط البلاغي بكل تعقيداته.

ولأهمية هذا الموضوع، وبغية البحث والتعرف عليه، اخترنا هذا الموضوع المعنون ب"النظرية الجديدة للاستعارة عند أمبيرتو ايكو". وذلك لإبراز جهود هذا العالم التي بذلها محاولا إعادة النظر في المفاهيم التقليدية التي أعطيت للاستعارة ومسألة التأويل التي كانت مهملة من قبل الباحثين ومحاولته ربط التأويل بالاستعارة استنادا على الموسوعة. وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن نجيب على عدد من الأسئلة أهمها: ما هي وظيفة الاستعارة حسب المنظور البلاغي الجديد؟ وكيف استثمرت هذه البلاغة التأويل في دراسة

الاستعارة؟ ما هي نظرة ايكو للاستعارة؟ وما الجديد الذي أضافته في هذا المجال؟ ما الموسوعة وما علاقتها بالاستعارة؟ وللإجابة عن كل هذه التساؤلات اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، حيث عملنا على وصف الظاهرة بجمع آراء ايكو الواردة في مجموع مؤلفاته، ثم عملنا على تحليل هذه الآراء وأبرزنا الجديد الذي أضافه في مجال دراسته حول الاستعارة.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وفصلين وخاتمة. بيّنا في المقدمة أنّ الاستعارة من أهم الموضوعات التي شغلت المفكرين، البلاغيين والنفاد على مرّ العصور، فقد كانت مجالاً جذاباً، نظراً للدور الذي تلعبه فهي أداة الفعل لفهم العالم والتفكير فيه ومكوّن من مكونات الذهن البشري، فنحن لا يمكن الاستغناء عنها. وأدرجنا فيها الإشكالية التي حاولنا الإجابة عنها والمتعلقة بوظيفة الاستعارة حسب المنظور البلاغي الجديد، وكيف حاول ايكو ربط الاستعارة بالمفاهيم الجديدة التي تحدث عنها كالموسوعة والتأويل. وذلك في فصلين؛ الفصل الأول المعنون بـ **المنظور البلاغي للاستعارة** وتعرضنا فيه لمفهوم الاستعارة في المنظور التقليدي ثم المنظور الحديث، ثم تطرقنا للبعد التداولي للاستعارة، وكيف تتدخل التداولية في بيان موت الاستعارة وحياتها وختمنا هذا الفصل ببيان علاقة التشاكل بالاستعارة ودور الأوّل في إضمار سمات الطرف الأوّل في الاستعارة وكسبه سمات جديدة متعلقة بالطرف الثاني لها. الفصل الثاني المعنون بـ **السنن ونتاج الاستعارة عند ايكو وتأويلها**. تناولنا فيه مفهوم السنن وبيّنا أنواعه، ثم ذكرنا العلاقة بين السنن والموسوعة، ثم تطرقنا للوظيفة المعرفية الاستعارة إذ تعتبر آلية لفهم العالم من خلال تجاربنا وسلوكياتنا في الحياة، وختمنا الفصل بالحديث عن تأويل الاستعارة وكيف عالجها ايكو من خلال ربطها بعالمين هما عالم الخطاب والعالم الممكن اللذين يفتحان لتأويل الاستعارة الباب على مصراعيه.

في الخاتمة حاولنا تقديم أهم نتائج البحث حول دراسة الاستعارة، وسجلنا اختلافا بين مفهومها ودورها في القديم، والدور الذي أسند إليها حديثا. كما سجلنا الجهود التي قام بها ايكو لتأسيس نظرية جديدة للاستعارة بمفاهيم حديثة.

وأثناء البحث استعنا بمراجع أهمها: كتاب "بنية المشابهة في اللغة العربية لعبد الإله سليم" وكتاب "الاستعارات في الشعر العربي الحديث لسعيد الحنصالي"، و"سيمياء التأويل لرشيد الإدريسي"، وأهم مرجع في بحثنا هذا كتاب "السيمائية وفلسفة اللغة لأمبيرتو ايكو". وخلال انجازنا لهذا البحث، وهو كغيره من البحوث الأكاديمية لا يخلو من بعض الصعوبات، واجهتنا بعض العوائق المتمثلة في عدم استعدادنا في البداية تقبل دراسة هذا الموضوع، وذلك نظرا لصعوبته، وقصر المدّة التي منحت له. وهناك مسائل من هذا البحث ما يتسم بالصعوبة والغموض، فكانت محتاجة إلى المزيد من الدراسة وعمق البحث، إضافة إلى صعوبة تحليل آراء ايكو و نقدها. ونحن في هذه المرحلة الابتدائية من البحث العلمي.

وخير ما نختم به كلمة شكر وعرفان، وتقدير للأستاذة المشرفة، الأستاذة الفاضلة الدكتورة آمنة بلعلي، على ما بذلته من جهد في سبيل توجيهنا لإنجاز هذا العمل جزاها الله خير الجزاء. كما نشكر لجنة المناقشة على الملاحظات و التقويم الذي ستقدمه لهذا البحث.

تيزي وزو في 01/06/2015.

# مقدمة

# الفصل الأول:

المنظور البلاغي للاستعارة.

**تمهيد:**

تفرض الاستعارة نفسها عند الحديث عن العلاقة والترابط والتشابك، إنَّها وسيط مهم بين ذهن البشري وما يحيط به. بواسطتها يفسّر الملتبس والمبهم، والاستعارة وسيلة أساسية تساعد على التعبير على إمكاناته في النظر للأشياء وتساعد على ابتداع علاقات وملاحظة التشابه في الاختلاف. وبذلك فهي وسيط ثقافي يمكن من تطوير المعارف.

كان الاهتمام بالاستعارة منذ أرسطو، الذي تناولها من جانبها اللغوي وسار في نفس المنحى البلاغيون العرب. أما الدراسات المعرفية الحديثة، فانتهدت إلى أنّ الاستعارة تشكّل أساس العمل. إنَّها عملية تنظّم لغتنا وفكرنا وسلوكنا ومعظم أعمالنا اليومية. كانت الاستعارة مجالاً جاذباً لمختلف العلوم، فقد كانت محطة اهتمام التداوليين في العصر الحديث، حيث ربطوا تأويلها وفهمها بمقصديّة المتكلم مطبقين مبادئ غرايس التخاطبية، فالآلية الاستعارية يحكمها نسق معيّن يرتبط بالسياق الذي ترد فيه الاستعارة. كما عالجت التداولية الاستعارة بنوعيتها الحيّة والميّنة، فالاستعارة المبتذلة هي التي كثر استعمالها وتداولها، فأصبحت شائعة لدى الناس، أمّا الاستعارة الحية، فهي التي نستخدمها في حياتنا اليومية وهذا النوع من الاستعارات يصعب تحويلها إلى لغة عادية. كما تطرقنا إلى دور التشاكل في إظهار بعض السمات المتعلقة بكلمة وإضمار سمات أخرى، فالكلمة متعددة السيمات لا تتخلص من كثافتها إلا بعد ما تتدرج في سياق معيّن. لنبرز في الأخير دور الترجمة في نقل المعنى الاستعاري من اللغة الأصل إلى اللغة الفرع ويشترط في ذلك خصائص سياقية تتحكم فيه قوانين ثقافية واجتماعية.

## 1- الاستعارة في المنظور التقليدي:

تصنف الاستعارة في البلاغة التقليدية بوصفها مجازاً، أي بوصفها صورة من الصور البلاغية التي تصنف تنوعات المعنى في استخدام الكلمات. ويقوم المفهوم التقليدي للاستعارة باعتبارها عملية معجمية، يتم بمقتضاها الانتقال من معنى حرفي إلى معنى مجازي بواسطة مسوّغ المشابهة، والغاية من الاستعارة في التصور الاستبدالي جمالية أو أسلوبية<sup>(1)</sup>. ومعنى ذلك أن الاستعارة قديماً قامت على استبدال كلمة بكلمة أخرى، وتحمل الثانية المعنى الذي أُريد من خلال الكلمة الأولى مثلاً نقول "أنت وردة" للدلالة على الجمال تستبدل كلمة جميلة بكلمة أخرى تحمل نفس المعنى وهي الوردة. وكان الهدف من الاستعارة من خلال عملية الاستبدال هذه، هو إضافة الجمال إلى الكلام "فقد اعتبرت الاستعارة جمالاً أو زخرفاً أو قوة إضافية للغة وليست الشكل المكون والأساسي لها"<sup>(2)</sup>

إن المنظور التقليدي للاستعارة ذا الطابع الاستبدالي، أصله أرسطو واتبعه فيه المصنفون البلاغيون الغربيون القدامى، وحتى الباحثين المعاصرين. ولقد تعرض أرسطو لموضوع الاستعارة لأول مرة في كتاب فن الشعر حيث قال: "إنه بالإمكان إدخال الحياة على اللغة أن نستعمل إلى جانب الكلمات العادية، كلمات غريبة وكلمات للزينة، وأخرى منحوتة نحنا، والكلمات المطولة والموجزة، وأخيراً الاستعارات"<sup>(3)</sup>. وبين أرسطو أن هذا النقل يكون بإحدى الوسائل التالية:

1- النقل من الجنس إلى النوع: أي استبدال الجنس بالنوع لبيان ذلك، نسوق المثال

الآتي: **توقفت السفينة في أقرب جزيرة.** حيث الإرساء نوع من التوقف.

1- ينظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية (مقاربة معرفية) // ط1، دار تويقال للنشر، المغرب، 2001، ص 62.

2- ريتشاردز، فلسفة البلاغة، تر.: سعيد الغانمي، ناصر حلاوي، إفريقيا، الشرق، لبنان، 2002، ص 92.

3- إيكو أمبرتو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر.: أحمد الصمعي ط1، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2005، ص 246.

2- النقل من النوع إلى الجنس: خرج للمظاهرات عشرات الآلاف من المواطنين. وعشرات الآلاف تستعمل للدلالة على العدد الكبير.

3- النقل من النوع إلى النوع: مثال: حلقت الطائرة إلى البلاد المجاورة. أو نقول طارت الطائرة إلى البلاد المجاورة. فالتحليق والطيران كلاهما نوع من الآخر.

4- النقل القائم على النسبة: الاستعارة هنا تماثل بين فئتين متشابهتين ومن ثمة تماثل بين حدود أربعة متناسبة فمثلا لدينا (أ،ب،ج،د) فنسبة (أ) للثاني (ب) كنسبة (ج) إلى (د)<sup>(1)</sup>

وقد ربط إيكو الطرق الأربعة للنقل عند أرسطو بإنتاج الاستعارة وفهمها وتأويلها حيث قال: عند حديث أرسطو عن الأنماط الثلاثة الأولى قال كيف يتم إنتاج الاستعارة وفهمها وتأويلها، بينما في حديثه عن النمط الرابع يقول ما هي المعرفة التي تقدمها لنا الاستعارة وماذا تقول لنا الاستعارة.<sup>(2)</sup>

ويعرف الاستعارة على أنها "إعطاء اسم يدل على شيء آخر، وذلك عن طريق التحويل، إما من جنس إلى نوع أو من نوع إلى جنس، أو من نوع إلى نوع، أو عن طريق القياس"<sup>(3)</sup> "والنظرية التقليدية تجعل الاستعارة مسألة لفظية، أي مسألة تحويل أو استبدال لكلمات"<sup>(4)</sup> ومعنى ذلك أن الاستعارة في المنظور التقليدي اهتمت باللفظة أكثر من الاهتمام بالمعنى المجازي، "والمنظور الاستبدالي للاستعارة يقوم على ترسيخ فكرة وجود معنيين، احدهما أصلي أو حرفي والثاني فرعي أو مجازي، وان الاستعارة تستبدل الأول

1- ينظر: إيكو أمبيرتو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص ص 246-247.

2- ينظر: م ن، ص 262.

3- بول ريكور، نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، تر: سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب،

2006، ص 86.

4- ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص 95.

بالبثاني<sup>(1)</sup> فهي عملية نقل من طرف إلى طرف آخر مع علاقة بينهما، وهي التي تتمثل بالمشابهة. ويبيّن أرسطو "أن أسلوب الاستعارة هو أعظم أساليب الكلام، فإن هذا أسلوب وحده هو الذي لا يمكن أن يستفيد المرء من غيره وهو آية الموهبة، فإن أحكام الاستعارة معناه البصر بوجود التشابه"<sup>(2)</sup> وبذلك فالاستعارة تبنى على التشابه.

ينتهي أرسطو إلى أن "أعظم شيء هو القدرة على صياغة الاستعارة، وهذا وحده لا يمكن ان ينقل إلى الآخر لأن علامة العبقرية، إن صياغة استعارات جديدة يعني القدرة على رؤية التشابهات"<sup>(3)</sup> والقدرة على رؤية المشابهات خاصة يتميز بها بعض الناس عن الآخر، لأن كل الناس لهم القدرة على رؤية المشابهات لكن بدرجات مختلفة، وكذلك لا يمكن تعليم الآخرين كيفية صياغة الاستعارة لأنها موهبة.

من المعروف أن الاستعارة ترتبط بالشعر أكثر مما ترتبط بالنثر، فلشعر أسلوبه الخاص وللنثر أسلوب خاص به كذلك، وأهم خاصية للاستعارة في الشعر هي الغموض الذي لا نعثر عليه في النثر. ولهذا نجد أرسطو قد ربط الاستعارة بالخطاب وكان حريصا وهو يتحدث عن الاستعارة في النثر أن تكون مخالفة لتلك التي يستعملها الشعراء "ويؤكد أنها مهمة في النثر اليومي أي الخطابي، ويعتبرها مقوما أساسيا في التواصل اليومي والمعتاد بين الناس، وينصح بضرورة العناية بالاستعارة لأن الخطيب يوجد في وضعية مختلفة من وضعية الشاعر"<sup>(4)</sup>. لكن الاهتمام بالاستعارة في النثر لا يقصدها من دائرة الشعر، يقول أرسطو "الاستعارة مهمة جدا في الشعر والنثر على السواء، لكن ينبغي على

1- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية (مقاربة معرفية)، ص 60.

2- سعيد الحنصالي، الاستعارات في الشعر العربي الحديث ط1، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، 2005، ص50.

3- ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص91

4- محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ط2، منشورات دار الأمان، الرباط، 2005، ص90.

الخطيب أن يوليها أعظم انتباه، لأن موارد النثر أقل من موارد الشعر<sup>(1)</sup>. لأنه كان ينظر للاستعارة باعتبارها وجهة نظر شعرية دون النثر.

هذا فيما يخص الاستعارة في البلاغة اليونانية. أما في البلاغة العربية فقد قارب العرب القدامى في حديثهم عن مفهوم الاستعارة بينه وبين مفهومها عند أرسطو الذي يركز على جهة النقل. فاستعمال معنى مكان آخر يتم على أساس النقل، وهذا التصور وارد في تعريف الرماني للاستعارة، حيث يقول: "الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل والإبانة"<sup>(2)</sup>. ويفهم من كلام الرماني أن هناك لغة أصل تشتق منها لغة فرع والعلاقة بينهما تتم عن طريق النقل رغبة في التوضيح والإبانة. وفي إطار النقل نفسه يندرج تعريف ابن الرشيقي للاستعارة حيث يقول: "الاستعارة ما اكتفى فيها باسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة وجعلت في مكان غيرها"<sup>(3)</sup>. كما يندرج في المجال نفسه تعريف ابن الأثير الذي يعتبر الاستعارة "نقل المعنى من لفظ إلى لفظ للمشاركة بينهما مع ذكر المنقول إليه"<sup>(4)</sup>. وتحدث الجاحظ عن الاستعارة في كتابه البيان والتبيين فعرّفها بقوله: "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"<sup>(5)</sup>. ومن يتأمل تعريفه للاستعارة يجده لا يبتعد عن التعاريف السابقة، فهي عنده نقل لفظ من معنى عرف به إلى معنى لفظ آخر لم يعرف به.

والملاحظ من خلال عرضنا لهذه التعاريف أنّ أصحابها لم يشيروا إلى العلاقة بين المعنيين الأصلي والفرعي، ولم يقيدوا النقل بشرط، ولم يبينوا الغرض من هذا النقل.

1- محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص90.

2- أبو الحسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن، (في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح: محي الدين عبد الحميد، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1980، ص79.

3- ابن رشيقي، العمدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1981، ص266.

4- أبو الفتح ابن الأثير، المثل السائر، تح: الشيخ كامل عويضة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص83.

5- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص80.

إلا أننا نجد الأمدي يعمم مسألة العلاقة في الاستعارة لتشمل جوانب أخرى، فالاستعارة نقل معنى لمعنى آخر تصوغها علاقة المشابهة أو المقاربة أو المناسبة أو السببية. ويقول في هذا المقال: "وإنما استعارات العرب لما ليس له، إذا كان يقاربه، أو يناسبه، أو يشبهه في بعض أحواله. أو كان سببا من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له، وملائمة لمعناه"<sup>(1)</sup>.

فالملاحظ أن الأمدي تفتن إلى وجود علاقات مختلفة تجمع بين طرفي الاستعارة وهذا دليل على أن الاستعارة لا تقوم على المشابهة فقط. هذا ما سنبينه فيما بعد عند الغربيين. في نفس المسار سار أبو هلال العسكري في عرضه لتعريف الاستعارة حيث يقول " فهي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره، لغرض وذلك إما أن يكون شرح المعنى وفصل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشادة إليه بالقليل من اللفظ أو يحسن المعرض الذي يبرز فيه. وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة"<sup>(2)</sup>. حيث نجد أبو هلال العسكري كان أوضح وأبين، لأنه أبرز الأغراض التي من أجلها جاز هذا النقل وهي شرح المعنى وتقريبه من ذهن السامع، وكذا المبالغة في إدخال المشبه في جنس المشبه به والإشارة إلى المعنى الكثير باللفظ القليل. على نحو قوله تعالى: (سنفرغ لكم أيها الثقلان)<sup>(3)</sup>، سنفرغ بمعنى سنقصد فاستعير الفراغ للقصد. لكن المعنى في الفراغ ليس القصد بذاته، فهو التهديد والوعيد، وهنا الإشارة إلى المعنى الكثير بلفظ قليل.

يظهر من استعراض تعريفات البلاغيين المشتغلين على الاستعارة تركيزهم على جهة النقل فيها. والواقع أن التصور النقلي الوارد في هذه التعاريف يمكن إدراجه في المنظور

1- أبو القاسم الأمدي، الموازنة، ج2، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 1975، ص250.

2- أبو هلال العسكري، الصناعتان، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص176.

3- سورة الرحمن، الآية 31.

الاستبدالي للاستعارة الذي تعود أصوله إلى أرسطو الذي يؤكد وجود معنيين أحدهما حرفي والثاني مجازي، والقائم على علاقة المشابهة.

أما تصور عبد القاهر الجرجاني للاستعارة، فعرف تطورا، ذلك انتقل من النظر للاستعارة باعتبارها عملية نقلية إلى النظر إليها باعتبارها عملية إدعائية، أي ادعاء معنى لمعنى آخر، فالاستعارة ليست نقل معنى من طرف إلى طرف آخر بواسطة علاقة ما، إنها عكس ذلك. ويقول في هذا الصدد "وإطلاقهم في الاستعارة نقل العبارة كما وضعت له من ذلك، فلا يصح الأخذ به، وذلك أنك إذا كنت لا تطلق اسم الأسد على الرجل إلا من بعد أن تدخله في جنس الأسود، من الجهة التي بينا، لم تكن نقلت الاسم عما وضعت له بالحقيقة، وذلك إنما تكون ناقلا، إذا أنت أخرجت معناه الأصلي من أن يكون مقصودك وتفضل به يدك، فأما أن تكون ناقلا له عن معناه، مع إرادة معناه، فمحال متناقض"<sup>(1)</sup>. من خلال هذا التعريف نلاحظ تركيز الجرجاني على فكرة الادعاء. ونفي النقل الذي يرى مستحيلا ومتناقضا، ولتوضيح ذلك نورد المثال التالي: قول الشاعر:

إذا المنية أنشبت أظفارها      ألفت كل تميمة لا تنفع<sup>(2)</sup>

في الاستعارة "المنية أنشبت أظفارها" صور الشاعر المنية في شكل حيوان مفترس قد أنشبت أظفاره. والشاعر لم يطلق معنى الافتراس على المنية إلا عندما أدخلها في جنس الحيوان وادعى أنها هو. "فالادعاء هو الاستعارية التي تقوم بتركيب شيء على شيء آخر"<sup>(3)</sup>. يرى الجرجاني أن الآلية الاستعارية تقوم على أننا ندعي للشيء شيئا ليس له، وهذا يعني أننا نلاحظ في الشيء ونحن نتأمله استعاريا شيئا آخر ليس له ونرى فيه غيره أو شبيهه. وقد أبرز الجرجاني في دراسته للاستعارة صورة واضحة، يعود له الفضل في

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989، ص435.

2- ينظر: عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز، نحو بلاغة جديدة، مكتبة غريب، القاهرة، ص 70.

3- محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص231.

التقسيمات التي عرفتها الاستعارة، مما يدل على وعي بطبيعة التمثل الاستعاري والبلاغي على وجه العموم. ومما لاشك فيه أن الاستعارة قد خطت خطوات واسعة في التجدد والتطور وما أُوخذ عليه أنه لم يجمع الاستعارة في باب واحد حتى يسهل تناولها، بل ربطها بأربعة ظواهر هي: النقل، والتشبيه، والمبالغة والاختصار. ونحن نختصر الكلام على الجانبين الأول والثاني.

أما التشبيه فقد عقد علاقة أبدية بينه وبين الاستعارة، وقد ميز بين التشبيهات التي يمكن نقلها للاستعارة، والتشبيهات التي تمنع ذلك النقل، وقد اعتبر كل استعارة تشبيه وليس العكس. وبذلك فالتشبيهات جنسان، جنس يقبل التحويل الاستعاري وجنس لا يقبل ذلك التحويل، ومتى كانت المشابهة واضحة وراسخة في أذهان المستمعين والمتلقين جاز نقل التشبيه إلى الاستعارية، ومتى كانت المشابهة غامضة تعذر ذلك النقل.<sup>(1)</sup>

أما النقل، فيعتبر من أقدم الأفكار التي استند إليها المنظرون على امتداد القرون، لكن النقل لا يكون نهائياً بحيث يعني معنى لحساب معنى آخر بل من الضروري للاستعارة أن يتعايش المعنى الأول والثاني.<sup>(2)</sup>

لقد حاولنا قدر المستطاع في عرض تعريفات الاستعارة تقادي ذكر التقسيمات الكثيرة التي ذكرها البلاغيون العرب القدامى. كما أننا توقفنا عند بعض التعريفات دون أخرى تجنباً للخلط. وتوقفنا عند **الجرجاني**، لأنّ الذين جاؤوا بعده لم يكونوا شراحاً ومحللين لما عرضه من أفكار، فعمدوا إلى تكرارها وتبسيطها من خلال الأمثلة نفسها التي أوردها.

ويمكن حصر جهود القدامى من **أرسطو** وصولاً إلى البلاغيين العرب في تعاملهم مع الاستعارة في العناصر التالية:

<sup>1</sup> - ينظر: محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص 213

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 227.

- الاستعارة مسألة لغوية، ما يعني الاهتمام باللفظ وطريقة الشكل اللغوي دون اعتبار السياق الخارجي.
- الاستعارة عملية عقلية تعويضية إلا أنّ عند الجرجاني يقول فكرة الادعاء.
- مصوّغ الاستعارة هو المشابهة، غير أنّ الآمدي يجعل مصوغ المناسبة أشمل من المشابهة.
- وظيفة الاستعارة عندهم تجميلية أو توضيحية للإبانة، يتم الانتقال إليها حسب رغبة قائل الاستعارة.

## 2- الاستعارة في المنظور الحديث:

سبقت الإشارة إلى أنّ المنظور التقليدي للاستعارة استبدالي الذي أسسه أرسطو، واتبه الكثير من البلاغيين القدامى، وحتى بعض الباحثين المعاصرين. فجعلوا الاستعارة مسألة لغوية تعتمد على التحويل أو الإبدال بين الكلمات، أما عند علماء البلاغة الغربيين، فنكتسي الاستعارة عندهم أهمية كبرى، فهي أهم وجه بلاغي، أو الركن الرئيسي في تكوين الشعر وفي خلق الصور. وفيما يلي سنعرض بعض الآراء التي قدمت من قبل البلاغيين المحدثين حول الاستعارة والتي تنقد المنظور التقليدي للاستعارة. ومن خلال الانتقادات الموجهة إلى النظرة التقليدية للاستعارة، تتأس نظرية جديدة ترمي إلى بناء رؤية مخالفة وجديدة.

انتهت الدراسات الحديثة إلى أنّ الاستعارة عملية تنظم لغتنا وفكرنا وسلوكنا ومعظم أعمالنا اليومية وتصاحبنا كافة أوقاتنا<sup>(1)</sup>، ونفى ريتشاردز أن تكون الاستعارة محصورة في اللفظ، أو هي مجرد استبدال لكلمات فيقول: "تلاحظ النظرية التقليدية أنماطا قليلة من الاستعارة، وتحصر المصطلح على بعض هذه الأنماط، ولذلك فهي تجعل الاستعارة مسألة لفظية، مسألة تحويل أو استبدال للكلمات، في حين أنها في الأساس استعارات وعلاقات بين الأفكار، إنها عملية تبادل بين النصوص، فالفكر الاستعاري يعمل بواسطة المقارنة،

1- ينظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص 57.

ومنها تنبثق الاستعارات في اللغة<sup>(1)</sup> فالاستعارة هي الأساس الذي يقوم عليه الفكر البشري. فهي ليست مجرد لعب بالألفاظ بأن يوضع الواحد مكان الآخر، ويضيف ريتشاردز أن الاستعارة "هي المبدأ الحاضر أبدا في اللغة، وهذا ما يمكن البرهنة عليه بالملاحظة المجردة، فنحن لا نستطيع أن نصوغ ثلاث جمل في أي حديث اعتيادي سلس دون اللجوء إلى الاستعارة"<sup>(2)</sup> بمعنى ان الاستعارة لم ترتبط فقط بالأديب أو الشاعر بل هي ملكة الكلام لدى جميع الناس، ولذلك عدها المكون الأساسي لكل أفكارنا وأحاديثنا العادية منها العلمية والأدبية، فهي من أكثر الأنواع البلاغية حضورا في التعبير اللغوي والفكري. بل هي مرتبطة بطريقة تفكيرنا الذي لا يكون إلا استعاريا.

وهذا يعني أن ريتشاردز رفض المسلمات في النموذج الكلاسيكي، وهما كون الاستعارة لا تتطوي على معلومات جديدة، وان الوظيفة التي تقوم بها هي وظيفة تزيينية فقط<sup>(3)</sup> وينظر إلى أبعد من ذلك ويقول: "إن الاستعارة تكمن في كل تلك العمليات التي ندرك فيها شيء ما أو ن فكر فيه أو نشعر نحوه بلغة أخرى أو مصطلح آخر"<sup>(4)</sup>، وبذلك يعطي ريتشاردز للاستعارة قوة توصيل المعنى والقدرة على اختزال المعاني والسياقات في القليل من العبارات. فالاستعارة هنا تصبح تمثلا لغوي للصور، التي يتم إدراكها عن الواقع والأشياء وهي الصور التي نتطبع في فكرنا أو في شعورنا فتمثلها بواسطة الاستعارة. فهي بالنسبة إليه أداة تمثله لعملية ادراكنا الفكرية والعاطفية بواسطة اللغة. أما بول ريكور فيرى أن الدراسة الحديثة المتناولة للاستعارة تجدها في حالة إرباك شديد من جانب ان الاستعارة بحث قائم في صميم البلاغة<sup>(5)</sup> وانتقل من مستوى الكلمة إلى مستوى الجملة "فقد منح للاستعارة بعدا جديدا

1- آيفور أرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص 7.

2- م ن ، ص93.

3- ينظر: بول ريكور، نظرية التأويل، ص 89.

4- ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص94.

5- حسان راشدي، الاستعارات ودلالة النص عند بول ريكور TOPIC http://www.ta5atub.com/t1492.

ومساحة عمل واسعة، واهتماما مركزيا ضمن البلاغة الجديدة، وقد نقل الاستعارة من مستوى المعجم إلى مستوى الخطاب ونظر إليها من الزاوية الدلالية<sup>(1)</sup>. وفي مشروعه هذا استعان ريكور بلسانيات دي سوسير مطبقا مبادئها الأساسية على الاستعارة "جاعلا منها الأداة التي تنقله من دلالة الكلمة إلى دلالة الجملة، فمعنى ودلالة الكلمة مرهونان بما تستعمل له هذه الكلمة في الجملة أو الخطاب، إذ إن معنى أو معاني الكلمة وهي مستقلة إنما هي مجرد احتمالات ليس إلا"<sup>(2)</sup>

ومعنى ذلك أن بول ريكور استبعد في دراسته للاستعارة مستوى الكلمة إذ إن الكلمة وحدها لا تحمل معنى واهتم بالاستعارة على مستوى الجملة أو النص أو الخطاب، فالخطاب الاستعاري يتجاوز استعارة اللفظ إلى استعارة النص، ورغم أهمية اللفظ (كلمة) التي تعد النواة الأولى لأي خطاب، إلا أن الكلمات لا تكتسب استعاريتها إلا إذا وضعت ونظر إليها في إطار النص ككل. "فالظاهرة الأولى التي ينبغي تأملها ليست العدول عن المعنى الحرفي للكلمات، بل توظيف عمل الإسناد على صعيد الجملة بكاملها"<sup>(3)</sup> فحينما نقول: "مقاومة المرض" نضع الكلمتين في علاقة توتر والجمع بينهما هو الذي يشكل الاستعارة فلا يمكن أن نتحدث عن قول استعاري لكلمة معينة بل عن قول استعاري كامل "فالاستعارة هي حاصل التوتر بين مفردتين في قول استعاري"<sup>(4)</sup>. فلا نستطيع أن نتحدث عن الكلمة "مقاومة" لوحدها بمعزل عن الجملة "مقاومة المرض" وعن السياق الذي وردت فيه، وكذلك لا يمكن أن نتحدث عن المرض ككلمة مفردة دون ربطها بكلمة "المقاومة" كما أنّ الجملة "مقاومة المرض" وحدها لا معنى لها إلا داخل خطاب تتكاثف فيها مجموعة من الجمل لتخلف الدلالة الاستعارية للخطاب.

1- حسان راشدي، الاستعارات ودلالة النص عند بول ريكور.

2- م ن.

3- بول ريكور، نظرية التأويل، ص 90.

4- م ن، ن ص.

والنقطة الثانية التي تحدث عنها بول ريكور حول الاستعارة هي أن فهم الاستعارة عنده يستوجب التخلي عن نظرية المشابهة والاستبدال "ويرى في مقابل ذلك أن النظرية التفاعلية هي النموذج الذي بإمكاننا فهم الاستعارة ويجعلها عملية ابتكار دلالي تقدم لنا معلومات جديدة"<sup>(1)</sup>. وبذلك نجد بول ريكور انتقد المسلمة القائلة: "إن الاستعارة مجرد استبدال في دلالة الكلمة تعتمد في ذلك على المشابهة"<sup>(2)</sup>. فهي ترتبط عنده بعلاقة الجملة داخل السياق ودور هذه العلاقة في ابتكار معان جديدة.

لم يبتعد موقف جماعة لياج<sup>(\*)</sup> في كتابها "البلاغة العامة" عن موقف البلاغيين الغربيين ذهبت إلى دحض فكرة الاستبدال إذ: « ليست الاستعارة مسألة استبدال في المعنى»<sup>(3)</sup>، ولا بين طرفين يتراجع طرف منهما لحساب الآخر. واقتراحت بديلا جديدا يقوم على الاحتفاظ بالطرفين المكونين للاستعارة معا، فهي تلح على وجود تقاطع بين الطرفين، فالاستعارة ممكنة بفضل «تقاطع بين الطرفين»، هو الجزء المشترك في فسيفساء معانها أو أجزاءها<sup>(4)</sup>. ولكن وإن حدث استبدال في المعنى فهو استبدال تام، وتقول الجماعة وهي تحدد الآليتين الاستعارية والاستبدالية « إن الأساسي بالنسبة إلينا هنا هو أن نعيد إلى الصيرورة البلاغية خصوصيتها وذلك مقابل الصيرورة الدلالية الخالصة، فحينما تستبدل كلمة ما معناها، فإن المعنى الأول ينزع إلى التلاشي لصالح المدلول الجديد. وفي نهاية

1- بول ريكور، نظرية التأويل، ص 91.

2- م ن، ص 91.

\*- جماعة لياج (جماعو مو  $\mu$ ) ( جاك دوبوا، فرانسوا إيدلين، جان ماري كلينكبرغ، فيليب منغت)، ظهرت عام 1967، مقرهم مركز الدراسات الشعرية، جامعة لياج، تخصصوا في عدة مجالات: البلاغة، الشعرية، السيميائيات، اللسانيات، علم الجمال، الكيمياء، نظرية التواصل. ألفوا عام 1978 كتاب البلاغة العامة والبلاغة الشعرية والبلاغة المرئية.

<sup>3</sup> - Groupe  $\mu$ , rhétorique générale, édition du Seuil, Paris, 1982, p.107.

<sup>4</sup> - فرانسوا مورو، البلاغة (المدخل لدراسة الصورة البيانية)، تر: محمد الولي، عائشة جرير، إفريقيا الشرق، المغرب، 2003، ص33.

التطور يختفي نهائياً. ويمكن حينئذ الحديث عن استبدال تام للمعنى»<sup>(1)</sup>. فجماعة مو تقول عكس ما ذهب إلىه البلاغة القديمة، فاستبدال كلمة بكلمة أخرى ليس لوجود تشابه بينهما، وإنما أثناء استبدال كلمة ما معناها فإن المعنى الأول يختفي وتكتسب هذه الكلمة معنى أو مدلولاً جديداً. ويكشف مؤلفو البلاغة العامة أن: «المعنى الحقيقي لا يختفي في الاستعارة ما دامت المعانم غير المتفقة مع المعنى المجازي، أو على أقل تقدير الغريبة عن السياق»<sup>(2)</sup>. ومع هذا فجماعة مو ( $\mu$ ) دقت أكثر في عملية الانتقال في المعنى على مستوى اللفظ، وبهذا أولت الاهتمام بالسياق الذي ترد فيه الاستعارة، وترى أن «الاستعارة ليست استبدالاً للمعنى، بل تغييراً للمحتوى الدلالي، وينجر هذا التغيير عن الجمع بين عمليتين مبدئيتين هو جمع وحذف السمات»<sup>(3)</sup>. هذا ما كانت تقصده جماعة مو ( $\mu$ ) في حديثها عن الاستبدال التام للمعنى، وذلك بوجود تفاعل بين المعنيين وقد «برهنت جماعة ليج على تعايش المعنيين في نفس الكلمة الاستعارية باعتماد استعارة، وذلك حينما أكدت على العلاقة المتوترة والنزاعية بين طرفي الاستعارة»<sup>(4)</sup> ونشير إلى أن الجرجاني يؤكد نفس المعنى «فالكلمة تتأرجح بين طرفيها الأصلي والطارئ أي المعير والمستعير»<sup>(5)</sup>

كما ركزت الجماعة أيضاً على الانزياح الاستعاري باعتباره يشكل أرقى درجات بروز اللغة الراقية. وألحت على أن المجاز بصفة عامة والاستعارة بصفة خاصة هو انزياح. تقول «رغم هذا يبدو ضرورياً الإلحاح على كون المجاز هو انزياح صارخ، وأن له قرينة، ولكي يكون هناك انزياح ينبغي أن يقوم توتر ومسافة بين المعنيين، وحيث يظل المعنم الأول

<sup>1</sup> -Groupe  $\mu$ , rhétorique générale,

نقلا عن: محمد الوالي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص228.

2-فرونسوا مورو، البلاغة (مدخل لدراسة الصورة البيانية)، ص33

3-م ن ، ص28

4- محمد الوالي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص230.

5- م ن، ن ص.

حاضرا وإن كان ذلك بشكل مضمّر أو خفي»<sup>(1)</sup>. والواقع أن الانزياح عندهم هو انزياح عن الموسوعة الثقافية، وليس الخروج عن الكلام العادي والمألوف كما جاء عند الشكلايين الروس هنا تلتقي جماعة مو مع أرسطو، فقد ميّز هذا الأخير بين لغة عادية ومألوفة وأخرى غير مألوفة، واللغة التي تميل إلى الغرابة هي اللغة الأدبية، يقول: « وجود العبارة أن تكون واضحة غير مبتذلة، فالعبارة المألوفة من الأسماء الأصلية هي أوضح العبارات، ولكنها مبتذلة، أما العبارات السامية الخالية من السوقية فهي التي تستخدم ألفاظا غير مألوفة، وأعني بالألفاظ غير المألوفة الغريب، المستعار والممدود، وكل ما بعد عن الاستعمال»<sup>(2)</sup>. ونجد من بين أنواع الانزياحات الانزياح الاستبدالي، وهو يمثل الاستعارة، والاستعارة المقصودة هي المفردة وهي تلك التي تقوم على كلمة واحدة، ولتوضيح ذلك نورد المثال التالي: هذا السطح الهادئ الذي تمشي فيه الحمام<sup>(3)</sup>، فالسطح المقصود هو البحر، والحمام هي السفن، وجمالية هذا البيت تكمن في هذه المفردات، فلو أن الشاعر قال: هذا البحر الهادئ تمشي فيه السفن، لا نلمس فيه انزياحا، فالمفردات المستخدمة عادية ومألوفة. فاللغة الاستعارية منزاحة تخرج عن مقاييس اللغة العادية، من خلال عملية استبدلت فيها الكلمات بأخرى. وقد يتعدى الخروج عن المألوف إلى عقد علاقة غير مألوفة بين كلمتين أو مجموعة من الكلمات مثل: عيناك غابتا نخيل ساعة السحر.

وتذهب جماعة مو إلى أن الأثر الجمالي لا ينتج عن ملاحظة انزياح الخطاب، بل ينتج عن فعل المقارنة بين المعيار والانزياح، فالأول هو كل ما ينتمي إلى سنن اللغة وتطلق عليه الجماعة مصطلح درجة الصفر (هذا المفهوم نجده عند إيكو بمصطلح المعنى الحرفي)، أما الثاني فهو تحويلات تصيب المعايير فتغيرها، وتتصرف فيها. ثم إن الانزياح بالنسبة إليهم يلاحظ فقط بل يقلص بعملية تأويلية، ولذلك فهم يميزون داخل الوجه البلاغي بين أساس لا

<sup>1</sup> - محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص 228.

<sup>2</sup> - عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقارنة معرفية، ص 49.

<sup>3</sup> - ينظر: إيكو أمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص 150.

يتغير وبين عناصر يطرأ عليها التغيير (الانزياح)<sup>(1)</sup>. وقد تم النظر إلى الاستعارة في التصور الجمالي باعتبارها استثناء ينزاح عن اللغة البسيطة وغير الملتبسة ولا ترتبط بالخيال، إلى لغة راقية أي من اللغة المعيار إلى اللغة المنزاحة « لكن يتفق البلاغيون العرب والغربيون أن لكل مجاز أصلاً يعود إليه، ويكون الأصل هو المعنى الحقيقي الذي اشتهر به لفظ ما (اللغة المعيار)، أما المعنى المجازي فغير مباشر يفترض عند الحاجة ثم يرجع إلى صاحبه فيما بعد»<sup>(2)</sup>. وهنا يمكن أن نعوض الثنائية المعنى الحقيقي/المعنى المجازي بالثنائية المعنى المعيار/المعنى المنزاح «وما دامت اللغة المعيار مفقودة وتخيّلها ضرب من المثالية، فإن الزوج معيار/انزياح يسقط وتبطل إجرائيته»<sup>(3)</sup>.

وفي الواقع أننا لا نستطيع تأويل الاستعارة دون العودة إلى المعنى الحقيقي، هنا تلقتي جماعة مو مع إيكو الذي ربط فهم وتأويل الاستعارة بما سماه المعنى الحرفي، إضافة إلى دور السياق الذي يساعد على فهم المعنى المجازي المقصود، وذلك باستحضار الموسوعة الثقافية لذوات الأشخاص المؤولين لها.

لنتتهي جماعة مو إلى فهم مفاده: «إن الاستعارات التي اعتبرها الانزياحيون نمط العمليات المرسومة في الجانب الإبداعي الدلالي، هي في نظرنا مكون من مكونات معمار الذهن البشري، تصاحب البشر في تخاطبهم وتعاملاتهم المعرفية بشكل عام، وتصاحب سلوكنا حتى إنه بالإمكان اعتبار الإنسان كائناً استعارياً»<sup>(4)</sup>.

وإلى المعنى نفسه اتجهت نظرة جورج لايكوف وجونسون للاستعارة حيث اعتبرها إحدى الوسائل الأكثر أهمية في محاولة فهم جزئي لما لا يمكن فهمه كلياً مثل أحاسيسنا

<sup>1</sup> - عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، "مقاربة معرفية"، ص 53.

<sup>2</sup> - م ن، ص 52.

<sup>3</sup> - م ن، ص 54.

<sup>4</sup> - م ن، ص 55.

وتجارينا الجمالية وممارساتنا الأخلاقية ووعينا الروحي<sup>(1)</sup> ويضيف الباحثان أن "الاستعارة جزء مهم من نشاطنا الفكري العادي، وبذلك تبني تصوراتنا وتجارينا وتعطيها معنى"<sup>(2)</sup> بمعنى أن الاستعارة حاضرة في نشاطنا اليومي وتعمل على تجسيد نسقنا التصوري انطلاقاً من تجارينا في الحياة وذلك بالانفعال مع الواقع، فالاستعارة تجسيد للواقع من خلال الفكر البشري.

يؤكد الباحثان أن الاستعارة ليست مجرد وسيلة لغوية تستعمل لا وظيفة لها إلا كترتين الكلام كالحلي بالنسبة للمرأة وذلك من خلال قولهما "الاستعارة ليست آلية لغوية تستعمل فقط للتجميل المجازي للغة المباشرة الصريحة إنها ليست طلاء أسلوبيا اختياريا بل إنها طريقة جوهرية وأساسية لتعلم وبناء الأنساق التصويرية، إنها آلية أساسية لترميز المعرفة وبناء سننها، إنها جزء من خطابنا اليومي"<sup>(3)</sup>.

إضافة إلى ذلك "فالبنية الاستعارية التي تركز عليها تصوراتنا المألوفة والعادية تشير إلى أن الاستعارة ظاهرة منتشرة جدا إلى درجة أنه يصعب رؤيتها والانتباه إليها"<sup>(4)</sup>.

انتقد لايكوف وجونسون النظرية التقليدية للاستعارة "فالاستعارة بالنسبة إليهما فكرية ترتبط بنسقنا التصوري إذ لولاها لما استطعنا تنظيم العالم واحتوائه"<sup>(5)</sup> ويذهب الباحثان إلى أن الاستعارة لا تقوم على المشابهة " بقدر ما تقوم على عملية ربط، والربط يكون بين مجالين أحدهما المجال الهدف والآخر المجال المصدر، فالاستعارة لا تقوم على مشابهة

1- ينظر: جورج لايكوف وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال للنشر، لبنان، 1996، ص 193.

2- جورج لايكوف، حرب الخليج أو استعارات التي تقتل، تر: عبد المجيد جحفة وعبد الاله سليم، ط1، دار توبقال للنشر، لبنان، 2005، ص 05.

3- م ن، ص 7.

4- م. ن، ص ن.

5- م.ن، ص 11.

موجودة بشكل قبلي وعن استقلال عن تجربة الإنسان واحتكاكه بالعالم الخارجي<sup>(1)</sup>. فمثلا الاستعارة "الحياة لعبة" نبني مجال هدف وهو الحياة انطلاقا من المجال المصدر لعبة والمجال الأول يستمد بعض الخصائص من المجال الثاني للربط بينهما. وبذلك فإننا لا نقيم تشابها بين الحياة واللعبة ولا نبحث عن الوجه الشبه بينهما وإنما نبحث عن بعض الخصائص التي تملكها "اللعبة" ونبحث عنها في كلمة "الحياة" وبذلك ننشئ علاقة بين المجالين " وهذه العلاقة لم تكن موجودة في استقلال عن الكائن البشري، بل إنه هو الذي أبدعها"<sup>(2)</sup>.

ونخلص في الأخير ومن خلال عرضنا للمنظورين التقليدي والحديث للاستعارة إلى أنّ: الاستعارة تقوم في المنظور التقليدي على الانتقال من كلمة إلى كلمة عن طريق المشابهة، وقد تمّ اعتبارها زخرفاً وهي بذلك مسألة لفظية في الدرجة الأولى تقوم على عملية الاستبدال. وفي المقابل نجد الرؤية الحديثة للاستعارة وإن اختلفت الزوايا التي عولجت منها عكس النظرية التقليدية تعتبر الاستعارة عملية أو آلية تنظم لغتنا وتترجم تجاربنا وسلوكياتنا وتفكيرنا ومعظم أعمالنا اليومية، فهي طريقة في تمثيل صورنا الإدراكية عن الأشياء والوقائع والحقائق الخارجية والداخلية ويلاحظ أن البلاغيين الجدد قد أولوا عناية فائقة للاستعارة باعتبارها الشكل البلاغي العام الذي تتفرع منه بقية الأشكال البلاغية الأخرى. فهي لم تقتصر على جنس أدبي دون آخر، بل هي حاضرة في كل الخطابات حتى في الخطابات العادية ومن هنا يتأتى بعدها التداولي.

### 3- البعد التداولي للاستعارة:

تهتم التداولية بدراسة التعبير في مختلف مستوياته اللفظية والتركييبية والدلالية، والعلاقات القائمة بينها. وإذا كانت التداولية في أوجز تعريفاتها هي دراسة مناحي الكلام أو

1- جورج لاكوف، حرب الخليج، ص 12.

2- م.ن، ص ن.

دراسة اللغة في الاستعمال. وهي منهج من مناهج الحديثة تسعى لتحقيق التواصل. في المقابل نجد الاستعارة من حيث هي آلية لغوية تحقق التواصل بين البشر. ونجد تعدد الأفكار التداولية التي ترتبط بالاستعارة منها فهم الاستعارة بوصفها وسيلة لغوية تواصلية، حيث تم ربط المعنى الاستعاري بمقاصد المتكلم، وبالذواغ التي توحى إلى استعمالها.

وتهتم التداولية بدراسة الاستعارة من حيث هي نشاط لغوي يحقق التواصل بين البشر، وخاضع لظروف إنتاج الخطاب بصفة عامة، ولذلك فالاستعارة نشاط تداولي بالأساس تعمل على استحضار متزامن للمتكلم والمخاطب ومقام الكلام وذلك بتفاعل هذه الأطراف فيما بينها.

لقد عرض جون سيرل في كتابه "المعنى والتعبير" قضية الاستعارة وعلاقتها بمقصدية المتكلم، وجعلها ترتبط بالكيفية التي يميز من خلالها معنى المتكلم والجملة، أو بعبارة أخرى: كيف تقول شيئاً ويعني شيئاً آخر؟<sup>(1)</sup>. فالمعنى الاستعاري عنده موجود لدى المتكلم ومرتبطة بما يقصد إليه من استعمال اللغة استعارياً، "لأنّ الطبيعة الاستعارية لملفوظ ما تعود إلى قصدية المؤلف واختياره، وليس إلى أسباب داخلية للبنية الموسوعية"<sup>(2)</sup> كما أنّ تأويل الاستعارة مرتبط أساساً يفهم قصدية المتكلم، فلا يمكننا فهم قول قائل مثلاً: هذا الإنسان وحش إلا إذا استحضرنّا السياق الذي قيل فيه وإلى ما قصده قائل هذه العبارة منها.

لقد توصل التداوليون في بحوثهم حول تداولية الاستعارة إلى أنّ النظرية الدلالية لم تتعد في تفسيرها للآلية الاستعارية بعدها الدلالي، أي اعتبارها آلية لغوية دون الأخذ في الاعتبار النسق العام الذي يحكم الآلية الاستعارية في سياق استعمال. جاعلين استدلالات

<sup>1</sup>- John Searle, sens et expression, les éditions de Minuit, Paris, 1979, p121.

<sup>2</sup>- إيكو أمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004، ص

غرايس أكثر إجرائية في تفسير المعنى الاستعاري.<sup>(1)</sup> وهو الأمر الذي لم يغفله امبرتو إيكو في مواضع متعددة في مؤلفه-السيمائية وفلسفة اللغة- فعند تناوله للبعد التداولي للاستعارة يطرح مسألة مقبوليتها، حيث لا يتعلق الأمر بصدق الاستعارة، وعليه يقر أنّ: "الذي يبدع استعارة يكذب بالمعنى الأدبي"<sup>(2)</sup> بمعنى أننا عند تلقينا لاستعارة ما فإننا نبحت عن الاستدلالات الحقيقية التي يمكن استنتاجها من ملفوظ استعاري، فمبدع الاستعارة يقول شيئاً ليقصد شيئاً آخر، على نحو أن نقول مثلاً: رأيت شمساً وفي الحقيقة نقصد أننا رأينا إنساناً جميلاً. أو نقول "عاشرت بحراً" ونقصد أننا عشنا مع إنسان كريم. ففهم الاستعارة هو فهم لماذا اختارها صاحبها، والاستعارة لها علاقة بتجربتنا الداخلية وحتى بتجاربنا مع العالم. الذي يفرض على المتكلم أن يصوغ عبارات استعارية تتماشى وأنساقه الثقافية الأمر الذي يفرض على المتلقي تأويلها من أجل فهمها.

ولذلك ينبثق التأويل الاستعاري من التفاعل بين المؤول والنص ولكن نتيجة هذا التأويل تفرضها طبيعة النص وطبيعة الإطار العام للمعارف الموسوعية لثقافة ما. ولذلك يبدو أنّ هذه النتيجة لا علاقة لها بقصدية المتكلم.<sup>(3)</sup> فمؤول النص عليه ان ينظر إلى هذا الملفوظ نظرة تأويلية يستعين فيها، بالموسوعة الثقافية لإدراك المعنى. ومثل ذلك تلقينا لهذا البيت الشعري:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وغضت على العناب بالبرد<sup>(4)</sup>

فالكلمات لؤلؤ، نرجس، ورد، العناب، البرد تحمل كلها معنيين، الأول هو المعنى المجازي وهو المذكور في البيت، والثاني حقيقي وهو الذي لم يذكر. وعند تأويل الاستعارات

<sup>1</sup>- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2005، ص 150.

<sup>2</sup>- إيكو أمبرتو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 142.

<sup>3</sup>- ينظر: إيكو أمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص 160.

<sup>4</sup>- ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،

الواردة في البيت يحدث تفاعل بين المؤول والنص وذلك بالاعتماد على السياق الذي وردت فيه واستنادا إلى الموسوعة الثقافية. وكذلك في قوله تعالى: (أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ (62) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ (65)).<sup>(1)</sup>

- طلوعها رؤوس الشياطين، فرؤوس الشياطين لا ندركها إلا وهما، وتأويل هذه العبارة لا يتم إلا باستحضار السياق الذي وردت فيه الآية ومؤولها يجب أن يكون ذو ثقافة إسلامية.

يعرف المؤلف أنه سيؤول لا بحسب مقاصده، ولكن بحسب استراتيجية معقدة من التفاعلات التي تتضمن أيضا القراء، إضافة إلى قدراتهم اللغوية كخزانة اجتماعية ولا أعني بهذه الأخيرة اللغة المعطاة كمجموعة من القواعد، بل مجمل الموسوعة التي حققتها أداءات هذه اللغة.<sup>(2)</sup> بمعنى أننا عند تلقينا لعبارات من مثل: قول الشاعر:

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر      ظواهر جلدي وهو للقلب جارح<sup>(3)</sup>

يستنتج القارئ من خلال هذا البيت أن السهم المقصود هو شيء آخر غير السهم الحقيقي، واستنادا إلى كفاياته اللغوية والثقافية يتوصل إلى أن المقصود هو العيون. وهو ما ساد في العرف الثقافي العربي الذي كان يوظف أدوات القتال وأشياء الطبيعة للتعبير عن مقاصد معينة. فالاستعارة ليست مرتبطة بالمتكلم لوحده، فارتباطها بقائلها ينفي وجود المتلقي ودوره في عملية التأويل، فالمعنى الذي يقصده المتكلم لا يفهمه بالضرورة المتلقي، وقد يؤوله بعيدا عن قصدية الناطق بالاستعارة إذا كان لا ينتمي إلى نفس الفضاء الثقافي، وعليه يجب أن يكون هناك تعاون بين المتكلم والمتلقي وهذه العلاقة بينهما تنشئ ما يسمى بمبدأ

<sup>1</sup>- القرآن الكريم، الآية 62-63-64-65 من سورة الصافات.

<sup>2</sup>- ينظر: إيكو أمبرتو، التأويل والتأويل المفرط، تر.: ناصر الحلواني، مركز الانتماء الحضاري، سوريا، 1992، ص 86.

<sup>3</sup>- ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص 86

التعاون\* الذي "يقوم على قواعد تخاطبية مختلفة قسّمها غرايس إلى أربعة أقسام يندرج كل منها تحت مقولة مخصصة"<sup>(1)</sup>. وهذه القواعد هي:

1. قاعدتا كم الخبر وهما:

أ. ليكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.

ب. لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.

2. قاعدتا كيف الخبر وهما:

أ. لا تقلما تعلم كذبه

ب. لا نقل ما ليست لك عليه بينة.

3. قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال وهي:

ليناسب مقالك مقامك.

4. قواعد جهة الخبر وهي:

أ. لتحترز من الالتباس

ب. لتحترز من الإجمال.<sup>(2)</sup>

وانطلاقاً من هذه القواعد تجعل الحديث واضحاً وصريحاً والمتكلم صادقاً ولا يكذب.

لكن نتساءل كيف يتمثل العمل الاستعاري في حدود قواعد المحادثة هذه في الحقيقة "أنا

نجد أنفسنا إزاء استلزام، من الواضح أنه يريد ان يقصد شيئاً آخر"<sup>(3)</sup>. بمعنى أننا نقول

قولا استعارياً ظاهرياً يجعلنا نبدو كأننا نكذب لكن في الحقيقة نقول شيئاً لنعني به شيئاً آخر.

وحسب القواعد التخاطبية عند غرايس يتمثل النشاط الاستعاري كالاتي:

\*-صيغة هذا المبدأ هي: ليكن انتهاكك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه، ويوجب هذا المبدأ تعاون المتكلم مع المخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الذي دخلا فيه.

<sup>1</sup>- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998، ص 238.

<sup>2</sup>- م ن، ص 238.

<sup>3</sup>- م ن، ص 240.

إنّ إنشاء استعارة يعتبر خرقاً لمبدأ الكيف، ولمبدأ الكم، ولمبدأ الطريقة، ولمبدأ العلاقة بالتالي فمنشئ الاستعارة كاذب، فهو يتحدث بطريقة غامضة، وإذا تحدث متكلم خارقاً كل هذه المبادئ بطريقة لا يمكن أن يحاسب فيها، فإننا نكون أمام وضع استلزامي حيث المتكلم بديهياً يريد أن يعني شيئاً آخر.<sup>(1)</sup> هذا لأننا لا نجد تطابقاً بين القول ومقصد المتكلم، الذي يظهر عكس ما يخفي. فقائل الاستعارة مثلاً: "هذا الرجل أسد" هذه الاستعارة لا تتوافق مع مبدأ الكم لأنها موجزة ومختصرة ومبدأ الكم يتطلب عكس ذلك مع هذا لا يناسب وضعية الحوار والمحادثة، كما أنها تخرق مبدأ الكيف الذي يبعد الكذب ويشترط الصدق فالقول الاستعاري هنا لا يتطابق مع قصدية المتكلم وكذلك الالتباس الذي يظهر عند المتلقي عند عجزه على تفسير مقصدية المتكلم يخرق مبدأ الطريقة الذي يحقق عملية التواصل بين المتكلم والمتلقي، وفي الأخير تخرق هذه الاستعارة مبدأ المناسبة الذي يفرض على المتكلم أن يناسب كلامه مقامه أثناء الحديث مع المتلقي، فمستعمل الاستعارة يهدف إلى معنى غير المعنى الحقيقي للاستعارة، وبذلك يخرج كلامه عن الموضوع ويتم انتهاك مبدأ المناسبة.

لكن مع ذلك فايكو يقول: "عندما يتكلم شخص منتهكاً جميع هذه القواعد، يفعل ذلك بطريقة تجعلنا لا نظن أنه أحمق أو أخرق، نجد أنفسنا إزاء استلزام من الواضح أنه يريد أن يقصد شيئاً آخر"<sup>(2)</sup> بمعنى أن قائل الاستعارة ينتهك جميع قواعد التخاطب لكن ليس لأنه أحمق، بل إنه قال شيئاً ويعني أو يقصد شيئاً آخر.

لا تقف مقبولية الاستعارة عند خرق قواعد التخاطب التي وضعها غرايس لنجاح عملية التواصل بين المتكلم والمتلقي، بل تتجاوز ذلك إلى مجموعة من الخصائص المرتبطة بالموسوعة الثقافية التي يفرضها السياق، حيث "توجد أيضاً من بين القوانين التداولية التي

<sup>1</sup> - سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 150.

<sup>2</sup> - إيكو أمبيرتو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 283

تنظم قبول الاستعارات (وقرارات تأويلها) قوانين اجتماعية، وثقافية<sup>(1)</sup> كما سبق أن ذكرنا أن الاستعارة لا ترتبط فقط بقواعد التخاطب، بل تحكمها قوانين اجتماعية، وثقافية التي تفرضها الموسوعة من مثل المعطيات الثقافية تحكم جماعة من مثل: اللغة، العادات والتقاليد، الدين، وغيرها وتستبعد ما لا يناسب سياقها الثقافي. ومثال ذلك ما يفسر مجموعة الاستعارات الموجودة في اللغة العربية كتشبيه الرجل الشجاع بالأسد، أو الإنسان الكريم بالبحر، وتشبيه المرأة بالوردة كلها تعود إلى البيئة الثقافية العربية وكذلك الانتماء الديني الذي يفرض علينا تقبل بعض الاستعارات ورفض أخرى، فمثلا نجمة داوود الخاصة باليهود لا يمكن مسلم أن يشبه شيئا ذا ستة أقطاب بتلك النجمة لأنها تحيل وترمز إلى ثقافة أخرى وكذلك الصليب.

فقبول استعارة " يتعلق أساسا بالمحددات الثقافية الاجتماعية المحكومة بالزمن والذهنية"<sup>(2)</sup> التي أنتجت تلك الاستعارة. وهذه المحددات الثقافية والاجتماعية عبارة عن خصائص وسمات المدلول التي اكتسبها من خلال السياق الثقافي. "فالمدلول السياقي يذهب أبعد من المدلولات المعجمية، وذلك لا يكون ممكنا إلا إذا قدمت الموسوعة سيناريوهات والمدلولات المعجمية على شكل تعليمات"<sup>(3)</sup> فقبول الاستعارة مشروط بالانتماء لنفس الثقافة واللغة وذلك باعتبار القارئ فردا من المجتمع يحمل نفس ثقافة مجتمعه.

نخلص في الأخير إلى أن الاستعارة في بعدها التداولي تخلق التواصل بين المتكلم والمخاطب رغم أنها تنتهك قواعد التخاطب ولكن "وإن خرجنا عن هذه القواعد، حصلنا فائدة بعيدة، هي أقرب إلى ما سماه الأصوليون بالمفهوم أو المسكوت عنه"<sup>(4)</sup> وبذلك ألا يمكن قول استعارة تبدو لنا مبهمة لأنه لم يسبق قولها أبدا؟ أو نحكم عليها أنها رديئة، لنأتي

<sup>1</sup> - إيكو أمبرتو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 241

<sup>2</sup> - سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 150.

<sup>3</sup> - م.ن، ص 151.

<sup>4</sup> - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص 239

ونتساءل ما هو معيار الجودة بالنسبة إلى الاستعارة؟ ألا يمكن أن يوجد يوماً سياق ما يبدو فيه مقنعا قول استعارة دون أن ننير في المتلقي الغموض والإبهام؟

#### 4- موت الاستعارة وحياتها:

عالجت التداولية الاستعارة بنوعها الحية والميتة منها، حيث تظهر فاعلية الشروط التداولية في عملية ابتداء الاستعارات وابتدائها. وتعرف الاستعارة الميتة بأنها استعارة استخدمها الناس لفترة طويلة فأصبحت شائعة. ما أدى إلى عدم شعورنا فيها بالفرق بين الموضوع والصورة. وفيها يهمل المعنى الأصلي للملفوظ ليكون المعنى المجازي الاستعاري هو الملفوظ<sup>(1)</sup> بمعنى أن المتلقي لا يشعر بوجود أية صورة استعارية مثال ذلك في الجملة التالية: "أنت بدر"، أو قولنا "عق الزجاجة"، فالصورة هنا قد اختفت نتيجة الاستخدام المتكرر.

هذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز بقوله: "علم أن من شأن هذه الأجناس أن تجري فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد، أفلا ترى أنك تجد في الاستعارة العامي المبذل كقولنا: رأيت أسداً، ولقيت بدراً، والخاص النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال"<sup>(2)</sup> ولكثرة استعمال هذه الاستعارات أصبحت مبتذلة وشائعة بين الناس فقدت صفة كونها استعارة وأصبحت كلاماً عادياً لكثرة استعمالها، فهي "تلك الاستعارات التي عمرت وقتاً أطول، والتي تستعمل كبدايل لأفكار واضحة على نحو عاطفي على الأغلب، ولكن دونما تجانس مع حقائق الأمور"<sup>(3)</sup>. بمعنى أنها عبارة عن استعارات مألوفة والتي تأتي على شكل تعابير جاهزة على نحو قولك على شخص كريم "كثير الرماد". وتشبيهه ذات العيون الجميلة، بعيون المهى.. إلخ.

<sup>1</sup>- ينظر: عيد بليغ "الرؤية التداولية للاستعارة"، مجلة علامات، ع 23 (أفريل 2005)،

<http://www.ta5atub.com/t1492>. TOPIC

<sup>2</sup>- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989، ص 74.

<sup>3</sup>- عيد بليغ "الرؤية التداولية للاستعارة".

في المقابل تعرف الاستعارات الحية كونها تبقى محتفظة بطرافتها وجدّتها، وتبقى محتفظة بتحقيق بعدها المجازي عندما يتلقى المتلقي مثل هذه الاستعارات يصعب تحويلها إلى منطوق حرّ، أو تحويلها إلى لغة أخرى عن طريق الترجمة، إذ تتطلب مثل هذه الاستعارات وقتاً أطول لترجمتها إلى كلام تطبيقي<sup>(1)</sup> ونقصد بالاستعارات الحية الاستعارات الجديدة التي نستخدمها في حياتنا اليومية لكن لم تفقد صفتها المجازية من مثل قولنا: "تناولت أفكاره من كل الجوانب"، "تهدر وقتنا سدا".

فهذه الاستعارات يصعب تحويلها إلى اللغة العادية، وتعود صعوبة التحويل أيضاً، إلى أن إنتاج الاستعارة في الأساس، لا يرتبط فقط برغبة المنتج الفردية المستقلة، أو بمرونة اللغة وقابليتها لاستعاب الانجازات المتعددة المعنى، بل يرتبط أيضاً بالعلائق التي ترتبط هذه المحددات بالعالم، وبالشروط الجمالية والايديولوجية للثقافة السائدة<sup>(2)</sup>. نحن يومياً ننتج استعارات كثيرة حتى نتواصل فهي تمثل تجربتنا مع الحياة فهي أساساً مرتبطة بالفكر البشري.

إن ما يميز الاستعارة الميّنة عن الاستعارة الحية هو أن "موت الاستعارة متعلق بتاريخها السوسيو لساني وليس ببنيتها السيميوطيقية وتوليدها وإعادة تأويلها الممكن"<sup>(3)</sup> فالاستعارة الميّنة أو المبتذلة "تلتحم فيها الحدود إلّحاماً حتى عدنا لا نرى بينها فرقاً، فالوحدة علامة الموت والابتذال، والتميز"<sup>(4)</sup> وهي تتميز بعدم التحام حدودها، ويمكن أن نصوغ مثال "زيد أسد" وعند تلقينا لمثل هذه الاستعارة يذهب تفكيرنا مباشرة إلى أن زيدا شجاع، فلا نبحث عن السمات التي تجمع بين زيد والأسد كون الشجاعة صفة جوهريّة في الأسد وصفة لازمة له وهي ثانوية عند زيد، فعند تشبهنا شخصاً بأسد، فإننا مباشرة

<sup>1</sup>- ينظر: عيد بلبع، "الرؤية التداولية للاستعارة".

<sup>2</sup>- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 89.

<sup>3</sup>- إيكو أمبيرتو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 309.

<sup>4</sup>- عيد بلبع، "الرؤية التداولية للاستعارة"

نستحضر صفة الشجاعة ولذلك فإننا لن نبحث عن العلاقة الموجودة بين حدي هذه الاستعارة من مستعار ومستعار له.

الاستعارات الميئة ليست باستعارات، إذا أردنا الدقة، ونعني بالاستعارات الميئة عبارات من طراز: رجل الطاولة، لسان الباب، والاستعارات الحية هي استعارات الابتكار التي تكون فيها الاستجابة للتناظر في الجملة توسيعا جديدا للمعنى، يعني أنّ هذه الاستعارات المبتدعة تتحوّل بالتكرار إلى استعارات ميئة<sup>(1)</sup> بمعنى أن الاستعارات التي تكون اليوم استعارة حية تصبح غدا استعارة ميئة مع كثرة تداولها.

إن الشروط الجمالية والأيدولوجية للثقافة السائدة، مضاف إليها شرط السياق تمثل في مجملها الشروط التداولية التي تحكم موت الاستعارة، وإحيائها من جديد وقد حددها إيكو فيما يلي:

- يلعب السياق دورا مهما في التحكم في موت الاستعارة أو إحيائها من جديد، إذ يوجد دائما سياق قادر أن يقدم مجازا شائعا أو استعارة منطفئة ميئة على أنها جديدة.
- يقدم السياق الذي له وظيفة جمالية استعاراته "على أنها بكر" كونه يجبرنا على أن نراها بطريقة جديدة، ولأنه يتصرف في قدر كبير من الإحالات بين مختلف مستويات النص مما يجيز دائما تأويلا جديدا للعبارة المستعملة، والتي لا تعمل بصفة منفردة بل تتفاعل دائما مع جانب ما جديد للنص، ومن ناحية أخرى، فإنه من خصوصيات السياقات ذات الوظيفة الجمالية أن تنتج علاقات موضوعية لها وظيفة استعارية مفتوحة جدا.
- يمكن للمجاز الأكثر (انطفاء) أن يشتغل على أنه مجاز (جديد) بالنسبة إلى شخص يقترب لأول مرة من تعقيد توليد الدلالة، فبالإمكان تصوّر شخص لم يسمع

<sup>1</sup> - ينظر: بول ريكور، نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، ص 93.

أبدأ بمقارنة صبية بوردة ويجهل الأسس التناصية، ويتفاعل مع الاستعارة الأكثر انطفاء مكتشفا لأول مرة العلاقة بين وجه أنثوي وزهرة.

- تساهم الظواهر الحسية في ابتكار استعارات جديدة، حيث يعيد الشخص بناء معنمه مثيرا إياه بخصايات حسب بعض التجارب البصرية أو اللمسية وفي هذه العملية تتدخل ظواهر حسية متزامنة ومختلفة لبناء شبكات من العلاقات الدلالية، من ذلك الاستعارات التي يبتكرها الشخص عند زيارته للطبيب، حيث يصف أعراضه المرضية بصفة غير صحيحة من مثل: صدري يسبب لي احتراقا، رأسي سينفجر وبذلك نبتدع استعارات بسبب جهلنا للمعجم.

- إن الانتقال من جوهر سيميائي "س" إلى جوهر سيميائي آخر "ي" يجعل ما هو استعارة منطفئة في الجوهر "س" استعارة مبتدعة في الجوهر "ي".<sup>(1)</sup>

## 5-التشاكل والاستعارة:

### 5-1- مفهوم التشاكل:

يقوم النص الأدبي على مجموعة من العناصر الدلالية التي تجعل التشكيلة اللفظية ترتبط ببعضها بعض. بواسطة ظاهرة التكرار وتواتر تلك الدلالية لتشكّل ما يسمّى بظاهرة التشاكل ( Isotopie ) الذي يضمن للخطاب انسجامه.

والتشاكل مصطلح سيميائي داخل حقل الدراسات الأدبية غربا قبل أن يستقبله الدارسون العرب، ويضمّنونه مواضيعهم المختلفة، فقد يكون التشاكل على مستوى الجملة، كما يكون على مستوى الخطاب، ويكون أيضا على مستوى المضمون والدلالة، كما يكون على مستوى الشكل التعبيري.

وبذلك لعب مفهوم التشاكل ومازال دورا مهما في السيميائيات المعاصرة، وقد تم تعريفه من طرف الكثير من الباحثين بطرق مختلفة لنعرض بعضها في ما يلي:

<sup>1</sup>- ينظر: إيكو أمبيرتو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص309- 311

يعتبر غريماس أول من تطرق إلى مفهوم التشاكل ضمن التحليل السيميوطيقي للسرد بعد أن كان التشاكل مصطلح ينتمي إلى حقل الفيزياء والكيمياء، وبعد ذلك أصبح هذا المفهوم الإجرائي مرتكزا منهجيا وجوهريا في الكتابات السيميوطيقية النظرية والتطبيقية، ونجد غريماس قد حصر هذا المفهوم على المستوى الدلالي السردى فقط، دون أن يدرجه ضمن المستوى الشكلي أو الصيغة التعبيرية. فالتشاكل عنده يعني: "مجموعة مترابطة من المقولات المعنوية (أي المقومات) التي تجعل قراءة متشاكلة للحكاية، كما نتجت عن قراءات جزئية للأقوال بعد حل إبهامها، هذا الحل نفسه موجه بالبحث عن القراءة المنسجمة"<sup>(1)</sup>

إنّ الملاحظ من تعريف غريماس هذا أنه قصره على الجانب المعنوي، إذ أن التشاكل من وجهة نظره هذه إنما يعني تشاكل المعنى الذي عبّر عنه بالمقومات المعنوية، كما يشير غريماس إلى أن التشاكل يؤدي إلى تجلية غموض ملفوظ ما<sup>(2)</sup>. بمعنى أن أي نص يمكنه أن يشتغل الغموض بإدراج تشاكلات مختلفة.

اهتمت جماعة مو على غرار التيار السيميوطيقي بالتشاكل، ولكن درسته من وجهة منطقية تركيبية، وذلك في كتاب "بلاغة الشعر"، وتعرف الجماعة التشاكل على أنه: "خاصة بمجموعة محددة من وحدات الدلالة المؤلفة من تكرار مقومات متماثلة، ومن غياب مقومات مبعدة في موقع تركيبى تحديدي"<sup>(3)</sup>. بمعنى أن التشاكل عند جماعة مو يقوم على تكرار السمات عبر التركيب، ويؤدي هذا التكرار إلى انسجام الجملة وعدم الالتباس، ويقوم التركيب بعملية إضمار سمات وتنشيط سمات أخرى.

كما نجد تعريفاً آخر للتشاكل عند الجماعة على أنه: "تكرار مقنن لوحدات الدال نفسها (ظاهرة أو غير ظاهرة)، صوتية أو كتابية، أو تكرار لنفس البنيات التركيبية (عميقة

<sup>1</sup>- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010، ص 237.

<sup>2</sup>- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية، تر.: جمال الحضري، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2007، ص 82.

<sup>3</sup>- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص 24.

أو سطحية) على مدى امتداد قول<sup>(1)</sup>. ويعني هذا أن الجماعة انتقلت من المستوى الدلالي إلى الوحدات اللغوية الصوتية والصرفية والتركيبية، سواء كانت هذه الوحدات المكررة تقع في المستوى السطحي أم في المستوى العميق.

إن مفهوم التشاكل عند إيكو يعني "ذلك المصطلح الذي يغطي مختلف الظواهر السيميائية التي يمكن تعريفها نوعياً كانسجام لمسار القراءة"<sup>(2)</sup>. بمعنى أن التشاكل هو القراءة المنسجمة لنص ما<sup>(3)</sup>. ويشمل بذلك كل الظواهر السيميائية، وعليه، فالتشاكل عامل من عوامل تماسك النص، أكثر مما هو عامل من عوامل انسجامه. وبالفعل، فإن التشاكل يحيل دائماً إلى تكرار مسار من المعنى يبرزه النص.

وبذلك لم يبعد إيكو من جهته المفهوم عن مجال التعاون النصي، حيث اقترح خطاطة غير استقصائية للتشاكلات<sup>(4)</sup> ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

- وظيفة التشاكل هي فك الالتباس عبر الجملي أو النصي وربما يخص أيضاً بعض الجمل والمركبات الاسمية.
- افتراض أن التشاكل يغطي ظواهر سيموطقية متنوعة المستويات النصية، وفي الواقع فإن التشاكل يرجع دائماً إلى استقرار مجرى المعنى الذي يبرزه نص ما حين نخضعه لقواعد الانسجام التأويلي.
- اعتبار التشاكلات التي تم تحديدها من طرف القارئ خصائص دلالية للنص.

انطلاقاً من رأي إيكو حول التشاكل نتوصل إلى كون هذا الأخير مشروط بالقدرة التأويلية التي تحكمها وتوجهها موسوعة القارئ، وذلك بفك الالتباس القائم على مستوى الجمل أو النص. فوصف التشاكل مشروط بالقدرة التأويلية، وهو يتجاوز البنيات التركيبية

<sup>1</sup>- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري ( استراتجية التناص )، ص 21.

<sup>2</sup>- رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل (الحريري بين العبارة والإشارة)، ط1، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2000، ص 62.

<sup>3</sup>- م ن، ص 63.

<sup>4</sup>- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 143.

التي تقف عند الحد المزعوم للجملة إلى مراقي دلالية قولية ونصية. فالتشاكل مبدأ منظم ينشأ بواسطة سلسلة من علاقات التماثل بين المقومات أو بأنه شكل بارز للتوافق المقوماتي<sup>(1)</sup> على حسب تعبير راستي. بالتالي تنبه هذا الأخير إلى أن: "تكرار المقومات المعطاة سالفًا ليس هو ما يؤسس التشاكل بل على العكس إنه افتراض أو حدس التشاكل هو الذي يسمح بتعيين المقومات".<sup>(2)</sup>

من هنا نتوصل إلى أنّ التشاكل مرتبط أساسًا بالسّمات المتكررة على مستوى النص في مستواه الدلالي المرتبط هو الآخر بالمسار التأويلي "فالتشاكل يحيل دائمًا إلى تكرار مسار من المعنى يبرزه النص عندما نخضعه لقواعد الانسجام التأويلي"<sup>(3)</sup> وهو مرتبط بالمعنى الذي يتشكل من خلال تكرار السمات وكذلك بالتأويل.

هذا ما يؤكد سعيد بن كراد إذ يرى أن الذي يشكل التشاكل ليس تواتر المعانم الموضوعية للتداول، بل افتراض تناظر ما يقودنا إلى تعيين بعض المعانم، إن لم نقل كلها، ويمكن التأكد من هذا الأمر من خلال الوقائع المحسوسة، بحيث نلجأ إلى تجربتنا الذاتية في عملية التأويل وبهذا نصل إلى أن المعنى حتى ولو تعلق بأدنى المستويات الدلالية، هو نتاج عمليات تأويلية محكمة باستراتيجية.<sup>(4)</sup> وما يمكن استنتاجه في هذا السياق هو أن التشاكل نتاج عمليات حدس وتأويل يظل مرتبطًا باستراتيجيتها. هكذا نستخلص من هذا العرض أن للتشاكل نسختين<sup>(5)</sup>:

- نسخة وضعية قديمة خاصة بالدلالة المقوماتية، وترتكز مسلماتها الأساسية على شمولية المقومات وعلى انتمائها إلى جوهر المحتوى، وعلى نهائية عددها وطبيعتها الأولية.

<sup>1</sup>- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 177.

<sup>2</sup>- م ن، ص 144.

<sup>3</sup>- م.ن، ص 61.

<sup>4</sup>- ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل.

<sup>5</sup>- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 178.

- نسخة نصية فالتشاكل هو المفتاح الحقيقي لولوج فهم وتفسير النص، خصوصا النص الشعري، إنه النموذج التشاكلي المرتبط بدلالة تأويلية.

فالتشاكل لم يعد محصورا في تكرار المقومات السياقية بل يشمل كل الوحدات الدلالية التي تبدو ملائمة للمحلل. ومن هنا جاءت أهميته في فهم المعنى الاستعاري وفي تحليل الاستعارة في النظرية البلاغية المعاصرة.

### 5-2- التشاكل الاستعاري:

تتميز الكلمة كونها تحمل عدة سمات\* تخصّها: وعندما ترد هذه الكلمة في تركيب وفي سياق معيّن تخفي هذه السمات وتنشط في محلها سمات أخرى. "ويتحقّق التشاكل الاستعاري عندما تدخل الكلمات في علاقات قصد بناء المعنى الاستعاري، حيث ترد هذه الكلمات محمّلة كل واحدة على حدة -بعدد من السمات التي تخصّصها- وينتج عن التركيب بينها عمليات إضمار سمات وتنشيط أخرى حتى ينسجم الكلام كما يتم الاستغناء عن الكثير من السمات الأخرى التي يمكن أن تنشط سياقات مغايرة. فالكلمة في ذاتها متعدّدة السمات ولا تتخلّص من كثافتها إلا بعدما تتدرج في سياق تركيب معيّن، ويتحقّق تشاكل الجملة الاستعارية بواسطة تخلّص الكلمة من سماتها المتعددة، وتنشيط السياق للسمات المنسجمة مع سمات الكلمات المجاورة<sup>(1)</sup>.

وحتى نوضح ذلك نقوم بتحليل بعض الاستعارات التالية:

### - الاستعارة 1/ القبور الضاحكة

تحمل كلمة القبور في هذه الاستعارة سمات متعددة من مثل: [+مادة] و[+ صلب] و[+ طبيعي]... لكن عندما تدخل هذه الكلمة في التركيب يتقلص التراكم السمي، فتضمّر هذه

\*- تعرف السمات بأنها وحدات معنوية صغرى، حيث أن الوحدة الأساسية للدلالة هي السيم، أصغر عنصر معنوي لها، الذي لا يمكن ظهوره إلا إذا ارتبط في علاقة بعنصر آخر مغاير له، ولا يمكن إدراكه إلا في إطار مجموعة عضوية في إطار بنية.

<sup>1</sup>- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية (مقاربة معرفية)، ص 90

السمات وتنشط بدلها سمات أخرى من مثل: [+حي] و[+إنسان] و[+عاقل] و[+فرح] حيث تبنى الدلالة فيها حسب السياق الذي وردت فيه هذه الاستعارة.

نلاحظ تكرار سمة [+ إنسان] التي هي جنسية ملازمة في الصفة "ضاحكة"، وعرضية في الاسم [+ القبور]، أي عندما ننطلق من تأويل القبور باعتبارها تحيل إلى أشخاص معينين. وعليه فإن كلمة القبور تفقد بعض خصائصها، وتضاف إليها أخرى، حيث يمكن رؤية بعض سمات بشرية في القبور.

- ويمكن أن نعرض تأويلاً لاستعارة قرآنية في قوله تعالى: (قال رب إنى وهن العظم

مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً)<sup>(1)</sup>

إن تشاكل الجملة "اشتعل الرأس شيباً" يتحقق بطريقتين:

- ملاحظة تكرار السمة [+النار] التي هي سمة ملازمة في الفعل "اشتعل" وعرضية في الشيب، أي عندما ننطلق من تأويل الشيب باعتباره يحيل على النار المشتعلة.

- ملاحظة تكرار السمة [+بياض] التي هي عرضية في "النار" وملازمة في "الشيب"، أي عندما ننطلق من تأويل اشتعل الرأس شيباً.

- ويتضح مما سبق أن الاستعارة "اشتعل الرأس شيباً" بإعادة تنظيم السمات، حيث تتخلى الكلمات عن بعض سماتها وتكتسب أخرى عندما تدخل في علاقات تركيبية وفي سياق معين، فالشيب في المثال أعلاه يتم التخلي فيه عن سمة خاصة [+ البياض] فيكتسب السمة [+النار] لأنه أسند إلى الفعل "اشتعل".

وتظهر فاعلية الاستعارة في إعادة تنظيم السمات بصورة أكثر وضوحاً، وربما أكثر تعقيداً<sup>(2)</sup> من خلال الاستعارة التالية.

- الاستعارة 3/ هذا الرجل وحش<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup>-سورة مريم، الآية 4.

<sup>2</sup>- ينظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص 95

<sup>3</sup>- ينظر: إيكو أمبيرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص 156.

يحافظ الاسم "وحش" على السمة الجنسية [+ حيوان]، أما السمة الجنسية الملازمة [+إنسان] في الرجل فتضمّر، فتتشط مكانها سمة أخرى هي [+ حيوان]. فيمكن أن يتحقق التشاكل بواسطة تكرار سمة خاصة ملازمة فكون تشاكلا جنسي جزئي.<sup>(1)</sup>

ويمكن أن نمثل ذلك في المخطط الآتي:

هذا الرجل وحش

↓↓

[+ حيوان] [+ حيوان] ← تشاكل جنسي جزئي

فيتحقق التشاكل جزئيا داخل العلاقة بواسطة تكرار السمة الجنسية [+ حيوان]، ولا يتحقق التشاكل كليا إلا إذا قمنا بعملية يتم الانتقال من السمة الجنسية [+ حيوان] إلى سمة خاصة جوهرية في الوحش هي [- العقل] حسب المخطط الآتي:

الرجل وحش

↓↓

[+ حيوان] [- العقل]

سمة جنسية سمة خاصة

↑

الانتقال إلى

- الاستعارة 4/: قال تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ 24﴾<sup>(2)</sup> فالمشبه به هو الطائر والمشبه هو الذل.

تحمل كلمة الذلّ في هذا المثال سمات متعددة من مثل: [+ معنوي]، [+ شعور]، [+ خاص بالإنسان]، [+ سلبي]، لكن عندما تدخل هذه الكلمة في التركيب، فتضمّر هذه السمات، وتتشط بدلها سمات أخرى متعلقة بالطائر من مثل [+ حيوان]، [+ حي]، [+

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص 95

<sup>2</sup> - سورة الإسراء، الآية 24.

يتنفس]، [+ يتغذى]، [+ الطيران]، [+ أجنحة]، فتبنى الدلالة في هذه الاستعارة على حسب السياق الذي وردت فيه هذه الاستعارة وهي الرسالة التي أراد الله عز وجل إيصالها إلى العباد وهي طاعة الوالدين.

#### - الاستعارة 5/ أحمد حائظ

المشبه به هو الحائظ والمشبه هو أحمد، تحمل كلمة أحمد سمات متعددة من مثل: [+ حي]، [+إنسان]، [+ ذكر]، [+ عاقل]، [+يتحرك]، [+يتنفس]، لكن عند دخول كلمة أحمد في التركيب أحمد حائظ، تخنفي هذه السمات، وتنشط بدلها سمات أخرى متعلقة بالحائظ من مثل: [+جامد]، [+صلب]، [- حي]، [- إنسان]، [+ اسمنت]، [+حديد].. إلخ من السمات وتبنى الدلالة في هذا المثال على حسب السياق الذي وردت فيه فعندما يتم إخبارك على سبيل المثال أحمد حائظ يمكن أن يتخذ عددا كبيرا من التأويلات الاستعارية وذلك اعتمادا على السياق سواء قالها مدرب كرة قدم للاعب أثناء المباراة بأن يكون كحائظ للدفاع عن مرمى فريقه، أو قالها إنسان لآخر للدلالة على البدانة (السمنة).

ويمكن أن نستنتج من هذا التحليل أن التشاكل في الاستعارة يتحقق عبر مستويين هما:  
- مستوى يلاحظ فيه تكرار السمة (أو السمات) التي تدخل طرفي الاستعارة في طبقة واحدة، ويتحقق التشاكل في هذا المستوى جزئيا.

- مستوى يلاحظ فيه تكرار السمة (أو السمات) المسوغة للاستعارة والضامنة للتشاكل الكلي، وذلك بواسطة علاقة تنقل بمقتضاها من سمة إلى سمة أخرى.<sup>(1)</sup>

فالتشاكل يكون جزئيا عندما تتكرر نفس السمة التي تكون ملازمة في طرفي الاستعارة، كما يمكن أن يكون تشاكلا كليا من خلال الانتقال من سمة جوهريّة في الطرف الأول إلى سمة أخرى عرضية فيه.

<sup>1</sup>- ينظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص 96

## 6- ترجمة الاستعارة وفهمها:

الاستعارة من بين المسائل التي شغلت الترجمة من الناحية النظرية والتطبيقية أيضا وقد ظهرت المسألة في ميدان البحث اللساني الحديث. "ويتم فهم الاستعارة وترجمتها من خلال فعالية الشروط الثقافية المتحركة في النشاط الاستعاري أثناء الاستعمال، حيث اهتمت التداولية بالاستعارة بوصفها وسيلة تواصلية، كما اهتمت بترجمة الاستعارة وما يترتب عنها من الانتقال، من السياق الذي أنتجت فيه الاستعارة إلى سياق آخر، وما يتعلق بذلك من اختلاف السياق الثقافي والاجتماعي"<sup>(1)</sup>

فهم الاستعارة وترجمتها يشترط خصائص سياقية تتحكم فيه القوانين الثقافية والاجتماعية، كذلك يشترط معرفة مشتركة للقواعد اللسانية لجماعة لغوية معينة، حيث تعمل هذه القواعد اللسانية على التمييز بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي للمفردة، هذا ما يفسر اختلاف السمات التي تميز مدلول الكلمة من ثقافة إلى أخرى، وعليه فالمدلول السياقي تحكمه الموسوعة حيث إن اختلاف الموسوعة الثقافية يعطل من فهم الاستعارة وذلك لأن "فهم الاستعارة ينبغي أن يرتبط بصيرورات إدراكية وبطبيعة الوضع البيئي والثقافي للمتلقي"<sup>(2)</sup>. مثال ذلك "تجري الاستعدادات على قدم وساق"<sup>(3)</sup>. فترجمة مثل هذه الاستعارة حرفيا إلى اللغة الفرنسية مثلا ستنتج لدينا جملة خالية من المعنى فيجب البحث عن ترجمة سليمة لها مقبولة في تلك اللغة، وتساير ثقافة المجمع الفرنسي.

اشترط الباحثون لنجاح عملية ترجمة الاستعارة أن يكون سياق التلقي متحققا في اللغة المترجم إليها "فالأمر الذي يضمن نجاح هذا الإجراء في الترجمة هو ان يكون للصورة رواجا وتبادلا متشابهاً في مجال اللغة المترجم إليها ويستخدم هذا الإجراء في ترجمة

1- عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة.

2- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 149.

3- محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، نحو بلاغة جديدة، مكتبة غريب، القاهرة، ص 66.

الاستعارة في وجود تداخل بين ثقافة اللغة الأصلية ولغة الترجمة أو لأن الصورة في الاستعارة ترمز إلى تجربة إنسانية كونية<sup>(1)</sup> فالترجمة الصحيحة والسليمة للاستعارة تشترط تفاعلا بين ثقافة اللغة الأصلية واللغة المترجم إليها، أو كون الاستعارة عبارة عن تجربة إنسانية. لننتقل في الأخير إلى عدة نتائج من خلال الدراسات التي أقيمت حول ترجمة الاستعارة وتتمثل فيما يلي:

- إن الدراسات في موضوع الاستعارة والترجمة ارتبطت وتأثرت بعوامل ممثل العامل اللغوي والعامل الثقافي فلا يمكن ترجمة استعارة ما خارج عن نطاق النص الذي وردت فيه والسياق الثقافي<sup>(2)</sup>. وعلى سبيل المثال لا يمكننا تأويل العبارة ولما تنحني الأطلال صمتا<sup>(3)</sup> خارج السياق الذي وردت فيه أو بمعزل عن النص ككل، فلا يمكن ان نفهم قصد عنتره بن شداد من خلال قوله هذا إذ فصلنا هذا البيت عن باقي أبيات القصيدة.

- دعوة العديد من الباحثين إلى الاهتمام بغرض الترجمة يمكن الباحث من أن يدرس الاستعارة وارتباطها في النص الأصلي، ويقارنها بوضعها في النص المترجم بوصف هذا الأخير له مقومات تختلف عن النص الأصلي<sup>(4)</sup> بمعنى ضرورة التفاعل بين اللغة الأصلية للاستعارة واللغة المترجم إليها أي المعرفة الجيدة للغتين، اللغة المترجم إليها واللغة المترجم منها.

نصل في النهاية إلى أنّ: النظرة التقليدية للاستعارة تختلف عن نظيرتها الحديثة فالأولى تناولت الاستعارة من جانبها الغوي بالاستناد إلى عملية النقل

1-ينظر: عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة.

2-م.ن.

3-ينظر: أمنة بلعلی، خطاب الأنساق (الشعر العربي في مطلع النلفية الثالثة)، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان 2014، ص 356.

4-عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة.

بمصوغ المشابهة. فهي اهتمام بالشكل مهملة السياق. في حين النظرة الثانية تعتبر الاستعارة آلية تنظم تجاربنا وسلوكياتنا ومعظم أعمالنا ومحادثاتنا اليومية، إضافة إلى الاهتمام بالسياق الذي ترد فيه. لقد اشتهرت البلاغة المعاصرة من خلال التداولية استحضر المتكلم والمخاطب ومقام الكلام في معالجتها للاستعارة وطبقت عليها قواعد غرايس، لتخلص أنّ الاستعارة تخرق كلّ القواعد إلا قاعدة المناسبة غير أن إيكو يبيّن أنّ قائل الاستعارة عند حديثه خارقاً لتلك القواعد، فهو لا يكذب في الواقع بل أورد شيئاً ليلمح إلى شيء آخر.

لهذا يرتبط موت الاستعارة وحياتها بالثورة الجمالية والايديولوجية للثقافة السائدة، كما أنّ للسياق دور في التحكم بموت الاستعارة وإحيائها من جديد ويجبرنا على رؤيتها بطريقة جديدة، كما تصبو العلاقات بين الكلمات الواردة في الاستعارة إلى تحقيق التشاكل، حيث يعمل السياق على إضمار سمات خاصة بكلمة معينة تنشط بدلها سمات أخرى متعلقة بالكلمة المجاورة.

كما اكتشفنا أنّ الترجمة الصحيحة للاستعارة تخضع لعدة شروط أهمها: النقل الصحيح للمعنى الاستعاري من اللغة الأم إلى اللغة الفرع، ذلك نتيجة التفاعل والتداخل بين اللغة الأصلية واللغة المترجم إليها، لأنّ الاستعارة عبارة عن تجربة إنسانية.

# الفصل الثاني:

السنن وإنتاج الاستعارة عند إيكو  
وتأويلها.

**تمهيد:**

عولجت الاستعارة في تاريخ البلاغة على أنها لعب بالألفاظ ومناسبة لاستغلال خصائص هذه اللغة واستعمالاتها المتعددة، وعلى إنها شيء يوضع مكان شيء آخر في بعض الأحيان، باختصار اعبرت الاستعارة جمالا أو زخرفا، أو قوة إضافية للغة، وليست الشكل المكوّن والأساس لها، أننا ومن خلال عرضنا للجهود المعاصرة تبين لنا أنّ الاستعارة ليست آلية لغوية تستعمل فقط للتعبير المجازي للغة المباشرة الصريحة، بل إنها طريقة جوهرية وأساسية لترميز المعرفة وبناء سننها. إنّ دراسة الاستعارة هي محاولة إدراك المدى الذي وصلت إليه البلاغة الجديدة في فهم الاستعارة وآلية اشتغالها وربط تأويلها بالموسوعة الثقافية، فنجاح الاستعارة يتوقف على الحجم الاجتماعي الثقافي لموسوعة الأشخاص. مثلما يرى ذلك أمبيرتو إيكو الذي جعلها مركز النشاط البلاغي ككل وعمل على بيان دور عالم الخطاب في فتح باب تأويل الاستعارة على مصراعيها، إضافة إلى عالم الممكن الذي يفترضه القارئ ليعمل على رفع الالتباس على الاستعارة وجعلها قابلة للتأويل. وذلك ما سنتعرف عليه من خلال بسط جهد أمبيرتو إيكو للسعي إلى إعادة النظر في بعض المسلّمات النظرية في مفهوم الاستعارة بإعادة الاعتبار إلى مفهوم السنن الثقافي والتأويل.

**1- من السنن إلى الموسوعة.****1-1- تعريف السنن**

إن الإنسان لا يمكن أن يخطو خطوة واحدة في الحياة دون الاستناد إلى سنن وشفرات تمكنه من فهم وتصنيف ما يحيط به، وتساعده على تحديد موقعه من نفسه ومن الآخرين فالتسمية والتعرف والتّمييز بين الأشياء، والكائنات عمليات لا يمكن أن تتم إلا استنادا إلى سنن، فهو الذي يمنح هذه الأحكام التصنيفية معناها، والمجتمع لا يمكن أن تقوم له قائمة

إذا لم يخلق سننه وشفراته الخاصة التي يعتمد عليها الأفراد المنتمون إليه للتواصل فيما بينهم وهي التي تسمح لهم بتبادل اللغة إنتاجا وتأويلا.

لقد تمّ فهم السنن على أنه سلسلة من التّقابلات بين كلمة وكلمة أخرى<sup>(1)</sup>، ما جعل إيكو يخصّص له مفهوما جديدا يتمثل في اعتباره "مفهوم يستلزم في جميع الحالات مفهوم التواضع، أي الاتفاق الاجتماعي - من ناحية - ومن ناحية أخرى مفهوم الآلية التي تتحكم فيها قواعد"<sup>(2)</sup>، بمعنى أن السنن عبارة عن نظام من القواعد يحتكم إلى ثقافة الأشخاص.

يؤكد إيكو مرة أخرى أن: "الحديث عن السنن يعني أن نرى الثقافة على أنها تفاعل مضبوط بقواعد، كما نرى الفن واللغة والصناعات والإدراك الحسي نفسه على أنها ظواهر من التفاعل الجماعي تتحكم فيها قوانين قابلة للتوضيح"<sup>(3)</sup>. وهذا ما يجعلنا نرى حياة الثقافة باعتبارها نسيجا من أسنن مختلفة. وبالتالي فالسنن عبارة عن أنظمة القواعد التي تتأسس عليها ثقافة ما، مثله مثل ظواهر التفاعل الجماعي كاللغة والفن والصناعات التي تحتكم للقوانين التي تفسرها.

وإن كان السنن بصفته قاعدة، فهو ليس بقاعدة تغلق، بل يمكن أيضا أن يكون قاعدة "تفتح"، وتسمح بتوليد تواردات لا حد لها، وتبعا لذلك فهو مصدر لعبة أو دوامة لا يمكن التحكم فيها.<sup>(4)</sup> وعليه فالسنن ليس ثابتا بل قابل للتغيير أو هو كإعصار لا يمكن التحكم فيه. فهو وراء إنتاج المعاني في تلك الثقافة. فالسنن مجموعة من الممارسات التي تنتج أثناء التواصل داخل إطار ثقافي واسع. ويتمثل ذلك بشكل واضح في الأبعاد الثقافية المتنوعة للسنن كالطبخ، وهندسة البناء والطعام، والموسيقى، واللباس، وما إلى ذلك فيما يدخل في

<sup>1</sup> - يراجع: رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل (الحريري بين العبارة والإشارة)، ط1، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2000، ص37.

<sup>2</sup> - أمبيروتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص398.

<sup>3</sup> - م.ن، ص449.

<sup>4</sup> - ينظر: م.ن، ص 401

ثقافة الأشخاص المنتمين إلى نفس البيئة الثقافية ويتم فك تلك الشفرات لتحقيق عملية التواصل.

1-2- أنواع السنن: على المستوى السيميائي يتم تحديد شروط الضرورة بالنسبة إلى العلامة الاجتماعية، سواء بحسب سنن ضعيف أو بحسب سنن قوي<sup>(1)</sup>، وإنتاج العلامة يستلزم وجود مسترسل دلالي ينطلق من التسنين الأكثر قوة إلى التسنين غير المحدود والأكثر تفتحا<sup>(2)</sup>.

ويميز الفارق بين "سنن معقد" و"سنن ضيق" المستويين الاثنين للحرية المختلفة والسهولة الرمزية لفاعلين ينتميان إلى صنفين مختلفين<sup>(3)</sup>.

ومن هذا المنطلق نجد أن إنتاج العلامة وتأويلها يستند مرة إلى سنن ضعيف ومرة أخرى إلى سنن قوي، وتعود قوة السنن أو ضعفه إلى انفتاح أو انغلاق هذا السنن على الثقافة التي يستند إليها، أو التي أنتج فيها.

يقابل السنن الضعيف مجموعات تشفر (مجموعات سنن) بألفاظ كاملة وحتى بجمل وبنصوص من الواضح. فهو ينتهج طريقة المعادلات الدلالية ويعتبر القاموس الثنائي اللغة مثلا سننا ضيقا، ويتميز السنن الضيق بالإفراط في التسنين<sup>(4)</sup>. بمعنى أن السنن الضعيف عبارة عن مقابلة كلمة بكلمة أخرى وذلك بإعطاء المعنى المباشر لتلك الكلمة. وبالتالي يتميز السنن الضعيف بمحدودية التأويل أي مدلولات محدودة، ويعود ذلك إلى التقيد بقواعد محددة كما في شفرات الحواسب (الأيقونات التي تستعملها الحواسب)، والرسائل القصيرة في الهاتف كاستعمال الأيقونة رمز القلب للدلالة على الحب. هذا ما كان يقصده إيكو في حديثه

<sup>1</sup>- ينظر: أمبيرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة ص 95.

<sup>2</sup>- ينظر: م.ن، ص 108.

<sup>3</sup>- ينظر: م.ن، ص 445.

<sup>4</sup>- ينظر: م.ن، ص 458.

عن الاستعارات المغلقة وربطها بالسنن، فكلما كان السنن ضيق (ضعيف) كانت الاستعارة مغلقة (ميتة). في المقابل نجد السنن القوي يتوفر من الشفرة على إمكانية أن يكون متكونا من شفرات متعددة مترابطة فيما بينها وعلى أن يولد عددا لا نهائيا من الرسائل.<sup>(1)</sup> بالتالي فالسنن القوي عبارة عن مجموعة من الشفرات تتفاعل فيما بينها والعلاقة بين هذه الشفرات هي التي تنتج مدلولات غير محدودة، وبالتالي تأويلات متعددة ومن هذا المنطلق فالسنن القوي يرادف مفهوم الموسوعة في هذه الحالة. ونربط هذا بحديث إيكو حول الاستعارة المفتوحة التي تحتمل عدة تأويلات استنادا إلى السنن (أو الموسوعة). مثال ذلك استعارة الثوب الأبيض التي لها عدة تأويلات وذلك باختلاف الموسوعة الثقافية للأشخاص، فمثلا نجد اللباس الأبيض في المجتمع الصيني يرمز إلى الحزن، بينما المجتمعات الأخرى يرمز إلى الفرح والسعادة. وعليه، فالسنن الضعيف يختلف عن السنن القوي كون الثاني يستند إلى قواعد تسمح له بناء مجموعة لا نهائية من الدلالات، على عكس السنن الضعيف الذي يتميز بالإفراط في التسنين وينحصر في الكلمة وما يقابلها.

ويعتبر مفهوم الموسوعة بمثابة تطوير وإغناء لمفهوم السنن أو الشفرة، الذي سيطر على الدراسات السيميائية لسنوات عدة وقد فرض مفهوم الموسوعة نفسه باعتباره بديلا عن مفهوم الشفرة لأن هذا الأخير غالبا ما تم فهمه على أنه سلسلة من مقابلات بين الكلمة وكلمة أخرى<sup>(2)</sup> في المقابل نجد الموسوعة عبارة عن ذاكرة جماعية تتضمن مجموع المعطيات الثقافية المنتشرة في سياق سوسيو ثقافي محدد، والتي على القارئ الرجوع إليها أثناء عملية تأويله للنص الأدبي ويدخل إيكو ضمن مفهوم الموسوعة "تاريخ التأويلات السابقة لمجموعة من النصوص والتي من بينها تأويلات النص الذي يكون القارئ بصدده

<sup>1</sup> - ينظر: أمبيرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 459.

<sup>2</sup> - ينظر: رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل، ص 37.

تحليليه"<sup>(1)</sup>. بذلك يعتبر إيكو الموسوعة ضرورية لإنجاح عملية التأويل، فهي المجموعة المسجلة لجميع التأويلات وهي نسيج ثقافي يشمل جميع عناصر المعرفة المرتبطة بالإنسان ومحيطه.

كذلك يشترط في الموسوعة أن تتوفر على مجموعة من الإشارات الخاصة بالطريقة التي يفهم بها لفظ ما في السياقات التي يستعمل فيها بكثرة<sup>(2)</sup> بذلك يسند إيكو الموسوعة إلى السياق الذي تستعمل فيه بكثرة.

كما نجد تعريفاً آخر للموسوعة عند إيكو، حيث اعتبرها فرضية ضابطة يقرر المتلقي على أساسها وعند تأويل نص ما، أن يبني جزءاً من الموسوعة تسمح له بأن يعطي إلى النص أو المرسل جملة من الإمكانيات الدلالية<sup>(3)</sup>

يمكن القول إن المعنى المستخلص من التعريف السابق كفيل بجعل الموسوعة آلية عامة للتأويل، لأنها خزان غير محدود من المعارف المسبقة حول أي موضوع وأثناء معالجتها للنصوص ضرورة الالتزام بما تؤشر عليه النصوص من أجزاء الموسوعة المناسبة لها، حيث يرى إيكو أن "الشارح الذي عليه أن يؤول نصاً ما، ليس مرغماً على معرفة الموسوعة في شموليتها بل يكفي أن يعرف منها الجزء الذي يكون ضرورياً لفهم النص"<sup>(4)</sup> ومن كل هذا نصل إلى أن الموسوعة تتميز بمجموعة من الخصائص نذكر منها:

- منح صفة المقروئية كحد أدنى لفهم النص، كونها تقوم بحكم يؤدي إلى انسجام بنيات النص وبيئات العالم، لتسمح من ثمة بالانتقال من الإظهار الخطي إلى عالمه، فإن لم تتمكن عمليتي الإدراك والفهم أن تنطلقا من عبارة عن متتاليات من العبارات، فإن

<sup>1</sup>- رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل، ص 38.

<sup>2</sup>- ينظر: أميرتو إيكو، العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2007، ص 165

<sup>3</sup>- ينظر: أميرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 463.

<sup>4</sup>- عبد اللطيف محفوظ، "الموسوعة، خزان التأويل على الموقع: <[www.alitihad.ae](http://www.alitihad.ae)>، 2014/11/06.

إسناد المعنى إلى تلك العبارات يقتضي امتلاك الكفاءات السيميائية التي هي كفاءات موسوعية تتمفصل في مستوى تعالقتها مع النص إلى سنن عام وسنن فرعية وقد تأخذ هذه السنن الفرعية في علاقتها بالبنى الخطابية أبعادا ثقافية أو بلاغية أو أسلوبية أو كلها معا، كما قد تأخذ أبعادا تقنية معرفية في علاقتها بالبنى السردية مثل السيناريو والإطار<sup>(1)</sup>.

- تتصف الموسوعة بعدم الثبات فهي تتغير بتغيير الزمن، إذ قد تضاف لها أشياء جديدة، وقد تحذف منها أشياء مع مرور الزمن، وهذا ما يجعلها متفتحة ومتجددة باستمرار<sup>(2)</sup>.

- الموسوعة باعتبارها نظاما لتأويلاتها يتم امتلاكها على وجوه مختلفة من قبل مختلف مستعمليها، وتكون سلسلة التأويلات غير محددة ماديا وغير قابلة للتصنيف<sup>(3)</sup>.

و بعد عرضنا للعلاقة بين السنن والموسوعة عند إيكو توصلنا إلى نتيجة مفادها إن الموسوعة تطوير لمفهوم الشفرة كون الثانية لم يتم فهمها فهما صحيحا، فقد اعتبرت سلسلة من المقابلات بين الكلمات بالعكس فهي عبارة عن مخزون ثقافي للجماعة، ويربط إيكو عملية التأويل بالموسوعة التي يستند عليها القارئ أثناء تلقيه للنصوص. بذلك يعتبر إيكو الموسوعة ضرورية لإنجاح عملية التأويل ويرجع ذلك إلى مجموعة الخصائص التي تتميز بها الموسوعة المتمثلة أهمها في خاصية ربطها بالسنن العامة والسنن الفرعية التي تجسد الثقافة، وبذلك تأخذ الموسوعة ميزة عدم الثبات، فهي تتغير بتغيير المكان والزمان فتكتسب أشياء جديدة كما تفقد أشياء أخرى. وفي الأخير يوفر السنن تعليمات تسمح بمعالجة أنظمة

<sup>1</sup>- أميرتو إيكو، القارئ في الحكاية(التعاقد التأويلي في النصوص الحكائية) تر: انطون أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الجزائر، 2008، ص 129.

<sup>2</sup>- ينظر، أميرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص463.

<sup>3</sup>- م.ن، ص.ن.

مختلفة ، ويشترط أن تتوفر هذه التعليمات على صفة الحركية داخل البعد التداولي، وبذلك يصبح مفهوم السنن مرادفا لمفهوم الموسوعة بمعنى أن السنن يأخذ شكل الموسوعة. وإذا كنا نستند في إنتاج الأنظمة الشفرية إلى خلفيات أو قواعد مسبقة (الموسوعة) فإنه، ورغم وجود هذه القواعد السابقة التي نستند إليها إلا أننا أثناء التواصل نكون أمام إنشاء شفرات جديدة، وهذا يعني أن الموسوعة تتحكم في إنتاج شفرات جديدة استنادا إلى شفرات قديمة.

## 2- الوظيفة المعرفية للاستعارة:

من خصائص الكتابة الأدبية تشكلها من الصور البلاغية التي تعتبر مكونا مهما من مكونات أدبيتها، ومن بين هذه الصور الاستعارة التي كانت الموضوع الذي شغل إيكو كثيرا والذي ركز عليه وربطه بالموسوعة وذلك لما حظي به هذا المفهوم من اهتمام ودراسة من وجهات نظر مختلفة، فلسفية، لسانية، جمالية ونفسية، ولأن الحديث عن الاستعارة معناه الحديث عن النشاط البلاغي بكل تعقيداته<sup>(1)</sup> فقد كان مصطلح الاستعارة عند أرسطو يشير إلى كل الصور البلاغية بصفة عامة بحيث تم اعتبارها جنسا وكل المجازات الأخرى أنواعا<sup>(2)</sup>.

من هذا المنطلق نجد إيكو قد جعل الاستعارة مركز النشاط البلاغي ككل واعتبرها جنسا وباقي الصور البلاغية الأخرى أنواعا. وأول ما يركز عليه إيكو في ما يخص موضوع الاستعارة هو أن "الاستعارة لا تقيم تماثلا بين المرجعيات التي يحيل عليها المستعار منه، والمستعار له، بل التماثل يشمل بالدرجة الأولى سمتين أو خاصيتين دلالتين في طرفي الاستعارة، بمعنى أن هذه الخصائص يشار إليها بنفس المؤولة توحد بينهما وسبب ذلك

<sup>1</sup> - ينظر: رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل، ص 45

<sup>2</sup> - ينظر: ، م. ن، ص. ن

هو أن فهم الاستعارة لا يتطلب منا الرجوع إلى الأشياء كما هي موجودة في العالم وإدراكها إدراكا حسيا، بل يتطلب الرجوع إلى محتويات التعبيرات المشكلة للاستعارة<sup>(1)</sup> بمعنى أنه عند تأويل الاستعارة يتطلب منا تنشيط خاصيتين من خصائص الموسوعة والرجوع إلى محتوى أو مضمون التعبيرات المشكلة للاستعارة ولا يمكن رفع غموض الاستعارة إلا في إطار سياق ومقام معينين.

ويؤكد إيكو مرة أخرى بأن الاستعارة ليست زخرفا وحسب، بل اعتبرها أداة للمعرفة مقصيا بذلك خاصية الاستبدال، إذ قال: "لا تهمنا الاستعارة باعتبارها زخرفا، لأنها لو كانت زخرفا فقط (أي نقول بعبارات جميلة مالا يمكن قوله بطريقة أخرى) لكان بالإمكان تماما تفسيرها بعبارات نظرية الدلالة الصريحة، بل أنها تهمنا باعتبارها أداة المعرفة الإضافية وليس الاستبدالية"<sup>(2)</sup>.

راجع إيكو تصنيفات أرسطو للاستعارة وذلك من أجل أن يتحدث عن معرفية الاستعارة فهي رد على الزخرفة. فقد تفتن إيكو إلى الجانب المعرفي للاستعارة، وفسر هذا الجانب من خلال مبدأ التعاون لـ غرايس، ومن هنا نقول إن إيكو من خلال مشروعه هذا استند إلى غرايس، إضافة إلى ما قاله أرسطو، فالاستعارة آلية فكرية كأنها المنطلق الذي يبنى عليه الفكر، فعندما نتحدث عن الاستعارة كأننا نتحدث عن الفكر كيف يشتغل. ونسلم أن الفكر الاستعاري قائم على المنطق، خاضع لمبادئ العقل المعروفة لدى أرسطو (مقدمات، استدلال، استقراء، نتيجة). هنا نجد نقطة التقاء بين إيكو وما ذهب إليه جورج لايكوف وجونسون اللذين اعتبروا أن كل نسقنا التصوري له طبيعة استعارية. فاللغة مهما تطورت فلن تغطي الجانب الناقص في حياة البشر، وتعمل الاستعارة على تغطية هذا النقص.

<sup>1</sup> - ينظر: رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل، ص ص 45-46

<sup>2</sup> - أمبيرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 237..

كما نجد إيكو قد نقد مسلمة المشابهة، حيث أكد أن الاستعارة لا تقوم على المشابهة في حد ذاته، بل تقوم على المشابهة من أجل الاختلاف، ويوضح ذلك إيكو في قوله: "لو كانت الاستعارة فقط إدغاما لقضية قد تم عرضها على نحو يجعلها ننطلق على مستوى الإنتاج من المشابهة ونصل إليها عن طريق التأويل، فإنه على المشابهة أن تكون دائما مقنعة"<sup>(1)</sup>. فالاستعارة المفيدة عند إيكو عند عقد مشابهة لنقول أن هناك اختلاف.

ولتوضيح ذلك يقترح إيكو المثال الآتي:

لقد شبهتكَ يا حبيبتى بفرس، أسنانك كقطيع نعاج صاعدة من الغسل، ساقاه عمودا  
رخام، أنفك كبرج لبنان<sup>(2)</sup>

من الملاحظ في هذا المثال أن الصورة الواردة فيه عبارة عن تشبيهات، وتقدم لنا الصورة التي يقصدها صاحب القول بشكل مباشر؛ لكن لو توقفنا عند المعنى الأول لهذه الأبيات - أي المعنى الحرفي لها - لقلنا إن الشاعر يشبه حبيبتَه بفرس، أسنانها تشبه قطيع نعاج قد خرج من الغسل، أنفها يشبه برج لبنان، من جهة أخرى لو بحثنا عن أوجه الشبه التي تجمع بين هذه المواصفات لوقعنا في الاختلاف، وهذا الأخير نحصل عليه عن طريق سيرورة تأويلية يقوم بها المتلقي. ليؤكد إيكو ذلك في قوله: "ولكن للوصول إلى هذه الاستنتاجات، علينا القيام بتجوال تأولي شيق، نفترض سننا ثم نجريه على المشابهة، ونتذوق بصفة مسبقة التغيرات الاستعارية ننطلق من المشابهة لاستنتاج سنن يجعلها مقبولة"<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - إمبريتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، ص 263

<sup>2</sup> - ينظر: م.ن، ص. ن

<sup>3</sup> - م.ن، ص. ن

وفي المعنى نفسه قد اتجه إليه أرسطو عندما نسب إلى الاستعارة الوظيفة المعرفية إذ قال: "إن صنع الاستعارات هو علامة على مواهب طبيعية، لأن معرفة إبداع استعارات جميلة يعني إدراك أو تصور مشابهة الأشياء فيما بينها، أي تصور المشابهة"<sup>(1)</sup>

بذلك جعل أرسطو من الاستعارة أداة أو وسيلة معرفية تتميز بالوضوح، "نحن نتعلم بالخصوص من خلال الاستعارة"<sup>(2)</sup> وحتى نفهم الاستعارة يجب أن تتحول إلى تشبيهات، هذا ما أكده ميلر حين قال: "إن الاستعارة لا بد أن تتحول إلى شكل يماثل التشبيه حتى يتم فهمها"<sup>(3)</sup>. فنحن نعقد المشابهة لنقول الاختلاف، فإن لم يكن هناك اختلاف تصبح الاستعارة ميتة، أو استعارة غير مفيدة. فالاستعارة يجب أن تخضع لما تواضع عليه الناس والثقافة، فالكلام الخارج عن الثقافة يخرق مبدأ المناسبة على نحو قول الشاعر: وليل كموج البحر أرخى سدوله. لا يوجد تشابه بل يوجد اختلاف، فالموج أبيض والليل أسود، فالشاعر هنا عقد علاقة مشابهة لشيئين مختلفين. ولكي نؤول هذه الاستعارة، علينا القيام بعملية تأويلات شاقة، فالشاعر يتحدث عن أشياء أخرى نحن لا نعلمها.

فالتشابه الذي تقوم عليه الاستعارة لا يعني أننا نعوض عبارات بعبارات أخرى، بل نقيم تشابها بين الأشياء للبحث عن الاختلاف الموجود بينها، وهذا الاختلاف ينتج عن الحركة الدينامية للأشياء. "إن أفضل الاستعارات هي التي تمثل الأشياء في حركة. لذا فالمعرفة الاستعارية هي معرفة ديناميكيات الواقع"<sup>(4)</sup> يمكن قول هذا بعبارة أخرى، إن أفضل الاستعارات هي التي تظهر الثقافة وهي تتحرك، وتتولد بذلك دلالات مختلفة عن طريق الاستدلال، فمن مظاهر إنتاج العلامة الثقافة التي تتمثل في السنن ومن ثمة يتكون لدينا ما

<sup>1</sup> - ، ص أمبيرتو إيكو، السيميائيات وفلسفة اللغة 264.

<sup>2</sup> - م ن ، ص 265.

<sup>3</sup> - يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص 22.

<sup>4</sup> - أمبيرتو إيكو، السيميائيات وفلسفة اللغة، ص 266.

يسمى الصيرورة السيميائية. فالاستعارة تجسد لنا الثقافة في الواقع كأننا نراها تتحرك أمامنا وكنتيجة لهذه الحركة أنها تخلق للاستعارة معرفيتها والتي تتجلى في تداوليتها.

يدور الحديث عند إيكو بخصوص الاستعارة حول اختيارين، أولهما أن اللغة بطبيعتها وفي الأصل استعارية، إذ تؤسس آلية الاستعارة النشاط اللغوي وكل قاعدة أو مواضعة لاحقة تولد بقصد تحديد الثراء الاستعاري<sup>(1)</sup>.

لكن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، فالاستعارة بالخصوص عندما يقع درسها في مجال اللغة تعطي شعورا بالفضيحة في جميع أنظمة العلامات<sup>(2)</sup>.

ويتمثل الاختيار الثاني في أن اللغة (وككل نظام سيميائي آخر) آلية تقوم على المواضعة وعلى قواعد، فهي آلية تقديرية تحدد ما يمكن إنشاؤه من جمل وما لا يمكن من ذلك، كما تحدد ما يمكن اعتباره من بين الجمل الممكن إنشاؤها حسنا أو صحيحا أو محملا بمعنى، تمثل الاستعارة في هذه الآلة العطب أو الرجة والنتيجة غير المتوقعة<sup>(3)</sup>. كان هدف إيكو الكشف عن الأشياء الغائبة في الاستعارة، فقد جعل الاستعارة كمرجع للنشاط البلاغي ككل. فهي ليست زخرفا وحسب، بل اعتبرها وسيلة أو أداة للمعرفة، فنظرة إيكو للاستعارة كانت مختلفة لنظرة القدماء لها، فهي ليست مجرد استبدال كلمة بكلمة أخرى عن طريق المشابهة، بل الاستعارة تقوم على المشابهة من أجل الاختلاف. ونجد إيكو في تأويله للاستعارة يستحضر أو يستند في ذلك إلى الموسوعة، فالاستعارة لن تكون واضحة ومقبولة إذ لم نفترض سننا مناسبا يجعلها مقبولة. كما ربط إيكو الاستعارة بالدينامية التي تجعلنا نفسر أشياء وكأننا نراها.

<sup>1</sup> - ينظر: أمبيروتو إيكو، السيميائيات وفلسفة اللغة، ص 235.

<sup>2</sup> - ينظر: م.ن، ص 236.

<sup>3</sup> - ينظر: م.ن، ص 235.

لقد أعطت نظرية المفاهيم الاستعارية اهتماما محدودا للغة الأدب، ولاستعاراته الإبداعية، ونجد جورج لاكوف وجونسون معنيين بالأساس بالمفاهيم الاستعارية التي تشكلها استعارات عادية، فقد ركزا على الوظائف المعرفية للاستعارة وليس وظائفها الجمالية<sup>(1)</sup>. وعليه فإن الاستعارة ليست أسلوبا بلاغيا يعتمد على التشبيه، بل ننظر إليها بوصفها أداة معرفية، فهي أداة لتطوير المفاهيم، ووسيلة لخلق الواقع، وليس لتزيين الواقع كما كان الحال في البلاغة القديمة. وهذا ما يوضحه إيكو عند حديثه عن الوظيفة المعرفية للاستعارة، والذي يتأكد في قوله: "لا تهمننا الاستعارة باعتبارها زخرفا، بل إنها تهمننا باعتبارها أداة المعرفة الإضافية وليس الاستبدالية"<sup>(2)</sup> فالاستعارة ليست أداة زخرف فقط بل هي أيضا وبالخصوص أداة معرفة، مثلما تمّ توضيحه من قبل.

إنّ اللغة مهما تطورت تبقى عاجزة عن استيعاب الفكر البشري، فهي تترك جانبا ناقصا في حياة البشر، وتعمل الاستعارة على تغطية هذا الجانب من خلال الاستعارات الميتة أو التي كثر تداولها، فهي وسيلة لغوية تواصلية من خلال تسمية الأشياء، وبذلك يتحقق التواصل بين البشر.

لذلك يقول إيكو: "تخلق اللغة استعارات حتى خارج الشعر، وذلك لضرورة تسمية الأشياء"<sup>(3)</sup>. وعليه، يمكن القول بأهمية الاستعارة في حياة الإنسان، فهي وسيلة ضرورية من أجل التواصل، وعلى حد تعبير لأكوف وجونسون "الاستعارة ليست علامة من علامات العبقرية عند الإنسان، ولا هي صفة من صفات أسلوبه السامي والعظيم بقدر ما تدل على

<sup>1</sup>- ينظر: عبد اللطيف عماد، "الاستعارة: العالم في حضرة مجازات غرائبية"، على الموقع:

<http://www.chandiabouchra.com>، نوفمبر 2014.

<sup>2</sup>- أمبيرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 237.

<sup>3</sup>- م ن، ص 264.

أنه حيوان استعاري، لأنه يحيا بالاستعارة<sup>(1)</sup>. فالاستعارة تلعب دورا أساسيا في حياة الإنسان إلى درجة أنه يحيا بالاستعارة.

إنّ الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية، إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا، حيث أن النسق التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس ليعمل من خلالها على نقل حقائق الكون<sup>(2)</sup>. وبذلك فالاستعارة من أهم مكونات الفكر البشري، فنحن نحيا ونتواصل، ونتفاعل بها، فهي لم تعد مسألة لغوية تزيينية بقدر ما أصبحت مسألة فكرية ومعرفية، والبعد المعرفي للاستعارة يشكل أحد أبعادها الجوهرية.

إنّ الاستعارة في بعدها المعرفي تؤدي وظيفة مهمة في حياة البشر، "فهي وسيط مهم بين الذهن البشري وما يحيط به من كائنات حية وغير حية، فبواسطتها يفسر الملتبس والمبهم، وتتجاوز كثير من العراقيل التواصلية"<sup>(3)</sup> فالاستعارة هي الوسيلة التي يتم بها التعرف وتفسير الغامض والمبهم من أجل التواصل. وذلك استنادا إلى الموسوعة الثقافية وعلاقة الاستعارة بالسنن الثقافي . فما العلاقة الموجودة بين الاستعارة والموسوعة والسنن؟

إنّ الحديث عن الاستعارة وعلاقتها بالموسوعة والسنن يستلزم منا استنتاج مجموعة تخص قوة الاستعارة ونجاحها، في هذا المقام يقول إيكو: "إن نجاح الاستعارة مرتبط بالحجم السوسيو ثقافي لموسوعة الذوات المؤولة. داخل هذا المنظور، فإننا لا ننتج استعارات إلا على أساس نسيج ثقافي ثري، أي على محتوى منظم سلفا في شبكات مؤولات هي التي

<sup>1</sup> - جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال للنشر، 1996، ص19.

<sup>2</sup> - ينظر: م ن، ص21.

<sup>3</sup> - دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص222.

تقرر مماثلة ومخالفة الخصائص<sup>(1)</sup> فجودة الاستعارة لا تتحدد بالبحث عن العلاقة بين طرفيها بل تتدخل الموسوعة التي من خلالها نقوم بعملية تأويل الاستعارة في سياق ما، فهو الذي يحدد قوة ومدى نجاح الاستعارة. ومن هنا يمكن أن نقوم بتفسير الآلية الاستعارية بأنها "تأسس على دلالة لها حجم موسوعة وهي تأخذ في الوقت نفسه بعين الاعتبار قواعد دلالة النص. إن دلالة في شكل موسوعة هي من دون شك أكثر فائدة من دلالة في شكل قاموس".<sup>(2)</sup> فالقاموس لا يمكننا من فهم الآلية الاستعارية فعند تلقينا لعبارة من مثل "هذه الفتاة وردة" من خلال العبارة حدث نقل للخصيات تجعل الفتاة تكتسب خصائص نباتية أو العكس تكتسب الورد خصائص بشرية. "لكن هنا لا يقول إلا شيئا قليلا عما يحدث في تأويل هذه الاستعارة وفي إنتاجها".<sup>(3)</sup> فعند التأويل لهذه الاستعارة لا يمكن ان نتوقف عند المفهوم الذي يقدمه لنا القاموس "فلا يمكن أن نعتبرها من وجهة النظر دلالة في حجم القاموس"<sup>(4)</sup> بل علينا الرجوع إلى الموسوعة فهي اشملى وأوسع وتحمل ثقافة الأشخاص الذين سيعملون على تأويلها في حدود ما تسمح به ثقافتهم. ليخلص إيكو في حديثه عن الاستعارة وضرورة ربط فهمها بمعرفة السنن "ذلك أن الاستعارة هي الأداة التي تسمح بفهم افضل للسنن، وهنا نمط المعرفة الذي تحتفظ به"<sup>(5)</sup>. فالاستعارة تتوفر على سنن فإذا كانت خالية من السنن لا يتم فهمها، بالتالي تصبح استعارة مبتذلة. السنن يمتاز بالتعدد والاختلاف بحسب الثقافات والبيئات والأشخاص، فمثلا نتحدث مع شخص ليس من البيئة العربية فهو لا يفهم العربية، سنحاول أن نفهمه معنى كلمة الحرية وذلك بإعطاء مجموعة من الدلالات من مثل التعاريف التي تقدمها لنا المعاجم، أو برسومات التي يستخدمها كمنطلق أو

<sup>1</sup> - سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 153

<sup>2</sup> - أمبيرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 283.

<sup>3</sup> - م ن، ص 308.

<sup>4</sup> - م ن، ص 286.

<sup>5</sup> - سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 154

استدلالات لفهم كلمة الحرية وذلك بالقيام بعملية إرجاع وإحالة إلى ما كان يعرفه في ثقافته. وبذلك فالسنن والاستعارة من الخصائص التي أقام عليها إيكو وجعلها موضوعات الثقافة. وبذلك تسهم في عملية التواصل فلا يمكن إنَّ نتواصل إلا بواسطة السنن الذي يمتاز بالتغير والتعدد (الثقافة، اللغة، العادات، التقاليد، اللباس) فكل أنماط الحياة عبارة عن سنن ولكل مجال سننه الخاص. ولقد طرحت فكرة مفادها أن السنن يفرض نفسه علينا وليس نحن الذين نفرضه" فقد ذهب الظن لمدة طويلة أن فهم الاستعارات يقتضي معرفة السنن (أو الموسوعة) والحقيقة هي أن الاستعارة هي الأداة التي تمكننا من فهم أفضل للسنن (أو الموسوعة)، وهذا هو النوع من المعرفة الذي توفره"<sup>(1)</sup> فالإنسان يسهم في إنشاء شفرات جديدة، إذا الاستعارة بالنسبة للشفرة مكون من مكوناتها ووسيلة التي نتعامل بها وتسهم في عملية إنتاج سنن جديد. فالسنن يغير الإنسان وهو بدوره يغير من الشفرة.

يضيف إيكو ويقول: لو عزلنا الاستعارة عن السياق لوجدناها فقيرة بينما نجدتها في سياقها تستند استعارات أخرى، وهي بدورها مسندة من قبل تلك الاستعارات<sup>(2)</sup> وبذلك يلعب السياق دورا مهما في رفع الالتباس في الاستعارة ويساعد على فهم أفضل لها، استنادا إلى سنن معين، "فلا نستطيع رفع الالتباس في الاستعارة إلا في إطار السياق الذي يحمل فعلا باعتباره تنصيحا على سنن"<sup>(3)</sup>. فلا داع ان يقوم البدر مقام المرأة إذ لم يتدخل السياق الذي أقام هذه العلاقة بين البدر والمرأة فيصبح البدر بالنسبة للجميع مدلول الفتاة الجميلة. "وعندما تشتغل العلاقة تكتسب إنجاز قول شيء مكان شيء آخر، يستوحذ السنن (أي الموسوعة) عليها"<sup>(4)</sup> هنا يبرز دور السنن في تأويل ونجاح الاستعارة، فكلما كان السنن قوي يعطي

<sup>1</sup> - أمبيرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 312.

<sup>2</sup> - ينظر: م ن، ص 308.

<sup>3</sup> - م ن، ص 286.

<sup>4</sup> - م ن، ص ن.

للاستعارة قوة ونجاح يضمن لها نشاطها وحياتها، بذلك لن تصبح تلك الاستعارة فقيرة ومبتذلة رغم كثرة تداولها.

وهذا الاستنتاج الذي توصلنا إليه يعود إلى العلاقة الجوهرية القائمة بين السنن والموسوعة 'فإذا كان السنن نسقا من القواعد التي تسمح بنقل رسالة معطاة بواسطة سلسلة من الاستبدالات التي عبرها يكون المتلقي العارف بقاعدة استبدال قادرا على الحصول من جديد على الرسالة الاصلية، فإن رؤية الثقافة كنسيج من السنن يعني البحث عن قواعد من أجل نشاط السيرورة الدلالية"<sup>(1)</sup>. فنحن نستند في إنتاج السنن إلى قواعد مسبقة وخلفيات ثقافية، لكن رغم وجود قواعد مسبقة ، إلا أننا أثناء التواصل وتمثلنا للأشياء، نكون أمام إنتاج سنن جديد يتحكم في ذلك الموسوعة والسيرورة الاستدلالية، ذلك أن إيكو اعتبر الثقافة نسيجا من الشفرات التي تتغير بتغير الزمن والمكان، فنحن ننتج سنن جديد انطلاقا من سنن قديم.

### 3- تأويل الاستعارة :

يعتبر مفهوم التأويل الذي يحتل مكانا مركزيا لدى إيكو ولدى جل السيميائيين المعاصرين، مفهوما شديدا التعقيد، نتيجة لتعدد دلالاته ولتشغيله في حقول معرفية مختلفة، فبالإضافة إلى العلوم الدينية التي جعلت منه مفهوما إشكاليا، وبعد الثورة الإبستمولوجية التي أحدثتها العلوم الإنسانية، والتي استلزمت منه التخلي عن الإشكالية المتمحورة حول الخطأ والصواب، عرف هذا المفهوم استعمالا مكثفا من طرف مجموعة من العلوم التي أغنته ووسعته.

<sup>1</sup> - سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 155

لقد خَلَّف لنا التاريخ تصورين مختلفين للتأويل، فتأويل نص ما حسب التصور الأول يعني الكشف عن الدلالة التي أرادها المؤلف أو على الأقل الكشف عن طابعها الموضوعي، أما التصور الثاني فيرى أن النصوص تحتل كل تأويل<sup>(1)</sup>.

يعتبر إيكو من بين الذين اهتموا بالتأويل اهتماما كبيرا من حيث صياغة الإشكالات المرتبطة بقضاياها المختلفة، والكشف عن حدوده ومرجعياته، ووفق تصورات نظرية وتطبيقية تكاد تكون مكتملة في ظل الخصوصية الغربية في الفكر والثقافة.<sup>(2)</sup>

ويعرف لنا التأويل بأنه "التحيين الدلالي لكل ما يريد النص كاستراتيجية قوله من خلال مشاركة قارئه النموذجي"<sup>(3)</sup>، بمعنى أن التأويل هو البحث عن الدلالة التي يخفيها نص ما، وهذه الدلالة يتوصل إليها قارئ النص.

إنَّ إيكو يرفض أي استعمال للنص أو قراءة لا تحترم مقصديته، وبذلك عمل على الدفاع عن المعنى الحرفي، حيث ذهب إلى أن أية عملية تأويلية لا يمكن أن تتطرق إلا بعد التسليم بالمعنى الحرفي للنص، فالتأويل في نظره يجب أن يستند على المستوى الأول للمعنى<sup>(4)</sup>، بمعنى الاستناد في تأويل أي نص إلى المعنى الحرفي أو الأول له وهذا المعنى تقدمه لنا المعاجم عند شرحها لأي مفردة.

<sup>1</sup> - ينظر: إمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004، ص 117.

<sup>2</sup> - ينظر: أمنة بلعلی، خطاب الأنساق (الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة)، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2014، ص 32.

<sup>3</sup> - رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل، ص ص 26-27.

<sup>4</sup> - ينظر: م.ن، ص 29.

ويخلص إيكو إلى القول بأن التأويل هو نتاج سلسلة من الأسنن المتنوعة والمستقلة لا يعطي الذات المتلقي الحق في استعمال النصوص في جميع الاتجاهات تحقيقاً لأغراض تخرج عن طبيعة التأويل ذاته وقواعده<sup>(1)</sup>.

يعني هذا أن التأويل ينطلق من قواعد خاصة به على المتلقي احترامها في تأويله للنصوص وعدم إخراج هذه الأخيرة من مقصديتها. فالتأويل حسب إيكو هو نتيجة سلسلة من الشفرات المختلفة والمتنوعة.

عند قراءتنا للنظرية التأويلية لإيكو، نجد أن هذا البعد الهيرمينوطيقي "يستشرف إيجاد آليات تفسيرية وأدوات إجرائية للولوج إلى كثافة التجربة الجمالية دون إلغاء قطب أو بعد من أبعاد النص، وذلك بإعطاء مقولة القارئ حظاً لم تنله في الدراسات السابقة، يمكن بواسطته التحكم في زمام كليات النصوص الجمالية عامة، والنصوص السردية خاصة"<sup>(2)</sup>.

فالتأويل يستوجب آليات وأدوات إجرائية لتفسير جماليات النص باستحضار كل ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية، خاصة ما يتعلق بقارئ النص الذي كان مهملًا في الدراسات السابقة.

كذلك ربط إيكو التأويل بالسياق والنسق الثقافي اللذين ساهما من بعيد أو من قريب في رسم المضامين والمجالات النظرية المعدودة كحدود مسيجة لنظام إبستمولوجي ما، وإرصاد الكيفيات التي يتم بواسطتها طرح أسئلة الانشغالات المعرفية الداخلية<sup>(3)</sup>. من هذا المنطلق فإن التأويل حسب إيكو عبارة عن آليات تفسيرية تسمح بالاهتمام بكل ما يحيط بالنص،

<sup>1</sup> - ينظر: إمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتقنيكية، ص 16.

<sup>2</sup> - وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل (قراءة في مشروع إيكو النقدي)، ط 1، الدار العربية ناشرون، بيروت، 2008، ص 11.

<sup>3</sup> - ينظر: م.ن، ص 15.

وبهذا تضمن للنص تماسكه والتحكم في زمام كليته الجمالية، كذلك الاهتمام بالسياق والنسق الثقافي اللذين يحيطان بالنص لأجل ضمان اشتغال النص الداخلي.

#### 4- الاستعارة بين عالم الخطاب والعوالم الممكنة:

إنّ عملية التأويل لا تكون مفتوحة على مصراعها، لأن الكشف عن طاقة دلالية داخلية يستوجبه السياق. "فقد يكون النص في جميع التصورات التأويلية "حالة مفترضة" لا تتحقق إلا ضمن فعل تأويلي يمتلك القدرة على تجسيد كل مدلولاتها أو بعضها ضمن سياقات تتناسل فيما بينها"<sup>(1)</sup> بمعنى أنه، انطلاقاً من هذه الحالة الافتراضية، يتم تلقي النصوص وفهمها فهما صحيحاً. فعندما نتبع إيكو في مقارنته التأويلية نجده يحذر دائماً من تلك الخطورة التي يمكنها أن تطوف بسبب فهم خاطئ يطال مفهوم الانفتاح، إذ لا يفهم الانفتاح فهماً هلامياً، لأنه رهينة ثقافة تعد بمثابة الحدود الضامنة التي تشد باب الزبئية التأويلية، والمعالم التي تثير عتبات سيرورة القراءة، يطلق إيكو على هذا الضامن مصطلح عالم الخطاب، الذي يعد بمثابة الحد الوسط بين المنظورين التأويليين السيميائي والتفكيكي.<sup>(2)</sup>

والعوالم الممكنة التي من خلالها يحاول إيكو إضاءة الكيفية التي يتوقع لها القارئ النص أثناء سيرورة القراءة.<sup>(3)</sup> سنحاول من خلال هذا الكشف عن كيفية اشتغال الاستعارة من خلال عالم الخطاب والعالم الممكن، وكيف يتدخل هذان العالمان في تأويلها.

عرف مصطلح الخطاب تعاريف عديدة باختلاف المجالات المعرفية التي تطرقت إليها (لسانية - أدبية - سيميائية)، ومن تلك التعاريف تعريف بنفيسست الذي يعتبر كل ملفوظ

<sup>1</sup> - سعيد بنكراد، "التأويل بين الكشف والتعدد ولانهاية الدلالات"، مجلة علامات، ع25، المدينة الجديدة، مكناس، المغرب، 2006، ص15.

<sup>2</sup> - ينظر: نادية ودير، الاستعارة والموسوعة في الخطاب الروائي، ذاكرة الجسد أنموذجاً، رسالة ماجستير في اللغة العربية، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011، ص209.

<sup>3</sup> - ينظر: وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل، ص36.

خطاب: "الخطاب كل ملفوظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول نية التأثير على الآخر بأية حال"<sup>(1)</sup>. والملاحظ أن الخطاب يفترض طرفين متكلما وهو قائل الخطاب، ومستمعا وهو متلقي الخطاب، وعلى المتكلم التأثير في المتلقي بأية وسيلة.

كما نجد تعريفا آخر للخطاب قدمه أحد لسانيين الخطاب بقوله: "كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكتاب، وتفترض نية التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها"<sup>(2)</sup>، فالخطاب إذا وسيلة من وسائل الاتصال، يندرج تحت اعتبار المخاطب، واعتبار قارئ الخطاب.

تعمل الموسوعة الثقافية للذوات المؤولة على فتح باب تأويل الاستعارة على مصراعيه، إذ توفر للمستعار منه عددا لا متناهيا من الخصائص التي قد تتجاوز الخصائص التي يفرضها السياق الذي وردت فيه الاستعارة، وبذلك "تفتح الاستعارة على سلسلة من التأويلات تختلف وتتعدد بتعدد السياقات الواردة فيها، إذ يتم فيها مراعاة الشروط الثقافية والنفسية والمقاصد والأهداف، وبذلك ينبثق التأويل الاستعاري من التفاعل بين المؤول والنص، حيث تكون فيه الموسوعة حاضرة بشكل مفروض، وهو ما يجعل التأويل يختلف باختلاف الثقافات"<sup>(3)</sup>

فالتأويل الاستعاري ينتج من التفاعل بين المؤول والنص ويختلف هذا التأويل باختلافات الثقافات والسياقات التي وردت فيها هذه الاستعارة التي تجعل "الخطاب قابلا لتأويلات متعددة وتشجع المتلقي على تركيز انتباهه على الحيلة الدلالية التي تحفز نوعا من التعدد

<sup>1</sup> - ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، دراسة تداولية، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010، ص18.

<sup>2</sup> - لخضر رويحي، "الخطاب الحوارية في القرآن الكريم"، مجلة الممارسات اللغوية، ع14، مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، ص 137.

<sup>3</sup> - أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص160.

الدلالي<sup>(1)</sup> وهنا يتدخل عالم الخطاب الذي يغلُق باب التأويل ويثبت عمل الموسوعة التي توفر للمستعار منه خصائص على حسب السياق، ولبيان ذلك نقوم بتحليل الاستعارة التالية:

الأبيات مأخوذة من الكوميديا الإلهية

[وسط درب حياتنا

وجدتني تائها في غابة ظلماء

تائها على الصراط المستقيم]<sup>(2)</sup>

الاستعارة الواردة في الأبيات هي "وسط درب حياتنا"

يتمثل المستعار له في هذه الاستعارة في "الحياة" والمستعار منه "السفر"

تتوفر الكلمتان المشكلتان لهذه الاستعارة "السفر" و"الحياة" على مجموعة من الخصائص نذكر منها:

السفر	الحياة
[+ بعد فضائي]	[+ بعد زمني]
[+ المغامرات]	[+ الفرح]
[+ المخاطر]	[+ الألم]
[+ بداية]	[+ ميلاد]
[+ نهاية]	[+ وفاة]

لن تكون هناك استعارة إذا نظرنا إلى السفر في بعده الفضائي، ولكن وجود سياق نصي مباشر "حياتنا" يقود إلى تحويل الفضاء إلى إطار مقولة الزمن، الشيء الذي يجعل الزمن ذاته فضاء<sup>(1)</sup>، فالسفر مرتبط بالفضاء كما أن الحياة مرتبطة بالزمن.

<sup>1</sup>- أمبيرتو إيكو، "تأويل الاستعارة"، تر: حسين بوتكلاي، عل الموقع:

<<http://www.ehat.com/jehat/ar/jahataltaaweel>>، مارس 2014.

<sup>2</sup>- أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص 151

ويعمل عالم الخطاب إزاء هذه الاستعارة على الحد من عمل الموسوعة بحيث يحافظ المستعار منه "السفر" على خاصية واحدة من الخصائص المذكورة أعلاه (في الاستعارة) وهي [+ وسط] بحيث يتم استبعاد الخصائص الأخرى، لأنها لا تناسب السياق الذي وردت فيه هذه الاستعارة، وهو السياق الذي تحدث عنه دانتي عن السفر عند الإنسان قديماً كان مرتبطاً بالمدة الطويلة والمغامرة وخطر الموت، لذا شبه الشاعر الحياة بالسفر للتذكير بأن الحياة صيرورة<sup>(2)</sup>.

والخلاصة أن التأويل الاستعاري في حدود ارتكازه على نماذج وصفية موسوعية، وإبرازه لبعض الخصائص المميزة، لا يكتشف وجود مماثلة (لأن الاستعارة تستند في وجودها إلى المماثلة)، وإنما يقوم ببنائها.<sup>(3)</sup> فلن نكتشف وجود تشابه بين السفر والحياة إلا حين نرغبنا الاستعارة على ذلك.

إنّ تأويل النصوص يستوجب من الذوات المؤولة أن تتوفر على خصائص موسوعية هذه الأخيرة تجعل القارئ يفترض عالماً يطلق عليه العالم الممكن، وهذا الأخير يعرفه إيكو على نحو: "أن تكون س أولاً س، بالتالي يتكون العالم من مجموعة أفراد ذات خاصيات ومادامت هذه الخاصيات تعد بمثابة أفعال، يمكن أن نرى كذلك العالم الممكن كمسار من الأحداث، ويرى أن هناك نوعين من الممكنات، النوع الأول من طبيعة كونية، لا يمكن التحكم فيها، أما النوع الثاني فبنوية يتسنى للإنسان أن يتحكم فيها"<sup>(4)</sup>. وانطلاقاً من هذا التحديد فالعالم الممكن عالم متخيل يفترض القارئ أثناء تأويله للنصوص، ويتكون من أفراد مزودين بخصائص موسوعية.

<sup>1</sup> - ينظر: أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص 151

<sup>2</sup> - م ن، ص ن

<sup>3</sup> - م ن، ص 150

<sup>4</sup> - ينظر: وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل، ص 36.

ومن هنا ينطلق إيكو من مبدئين كي يضع الأسس التي تركز عليها العوالم الممكنة.

- كل العوالم سواء أكانت متخيلة أم واقعية، فهي عبارة عن بناء ثقافي قائم على الموسوعة، فلا يوجد عالم واقعي فزيائي محض، كما لا يوجد عالم متخيل مطلق.
- في كل عالم توجد خصائص جوهرية وعرضية لمجموعة من الأفراد تحددها بؤرة النص، فايكو لا يرى هذه الخصائص متعالية بل هي علائقية تنتظم وتختلف باختلاف السياقات.<sup>(1)</sup>

وانطلاقاً من هذين المبدئين نجد إيكو يربط العوالم الممكنة بالموسوعة الثقافية، وأن كل عالم يحوي على خصائص جوهرية وعرضية فيه. فالعالم الممكن عالم ثقافي وليس عالماً واقعياً، بوصفه عالماً مبنياً ومشكلاً من معطيات موسوعية، "الذي لا يلزمه التعامل معه باعتباره تمظهراً خطياً للنص، والتأويل الذي ينتجه القارئ يمثل العالم الممكن المرسوم أثناء التفاعل التأويلي بين النص والقارئ النموذجي. وبذلك فهو العالم المتكون من سلسلة من الأفراد الذين يتم تحديدهم بواسطة سلسلة من الخصائص التي تكمن أهميتها في تمييزها لفرد عن فرد آخر وإسهامها في بناء بنية العوالم"<sup>(2)</sup>، فالتأويل الناتج عن تفاعل بين النص والقارئ يمثل العالم الممكن الذي يتحدد انطلاقاً من سلسلة من الخصائص.

إنّ الاستعارة تجمع بين طرفين يحوي كل منهما على مجموعة من الخصائص التي توفرها الموسوعة، وعندما يرتبط هذان الطرفان معا تتحقق الوحدة الدلالية، ونحتاج لتأويلها إلى تخيل عالم ممكن يمكن أن تتحقق فيه هذه الوحدة.

ومن الوسائل التي تمكننا من معالجة الاستعارة معالجة مرجعية، وجوب النظر إلى الاستعارة في بعدها الحرفي، والقيام بعد ذلك بإسقاط مضمونها على عالم ممكن، وتأويل الاستعارة

<sup>1</sup>- وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل، ص 97

<sup>2</sup>- رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل، ص 76

معناه تصور عوالم ممكنة.<sup>(1)</sup> وبذلك فإن إيكو يشترط في تأويل الاستعارة عالما ممكنا يتحقق فيه المعنى الاستعاري وذلك انطلاقا من المعنى الذي يجب أن يفهم حرفيا. ولفهم دور العالم الممكن في تأويل الاستعارة نقترح تحليل الاستعارات الآتية:

الاستعارة 1: بكت السماء.

تتوفر كلمتا السماء والإنسان وهما المشكلتان لطرفي هذه الاستعارة أي المستعار له (السماء) والمستعار منه (الإنسان) على مجموعة من السمات نذكر منها:

السماء	الإنسان
[+ لا حي ]	[+ حي ]
[+ أمطار ]	[+ بكاء ]
[+ شمس ]	[+ الفرح ]
[+ غيوم ]	[+ الحزن ]
[+ القمر ]	[+ الجمال ]

لكن مع ارتباط هتين الكلمتين تكتسب السماء سمة "البكاء" يصبح ليس من المعقول أن تكون السماء تبكي، ولذلك يجب أن نتخيل عالما ممكنا تكون فيه السماء تبكي، هذا ما يساعدنا على تأويل هذا الاستعارة.

فالاستعارة عند إيكو تمثل "الخطوة الأولى، غير الواضحة بعد في سبيل بناء قالب للعالم"<sup>(2)</sup> عالما يتخيله المتلقي يكون فيه على سبيل المثال "السماء تبكي". وبذلك فإن "كل

<sup>1</sup> - ينظر: أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص 157.

<sup>2</sup> - أمبيرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاقد التأويلي في النصوص الحكائية)، ص 199.

استعارة من شأنها أن تمثل بناء عالم ممكن<sup>(1)</sup> فيه يكتسب الطرف الثاني للاستعارة سمات الطرف الأول وبذلك ينتج المعنى الاستعاري، وبذلك لا يمكن أن ندرك معنى "بكت السماء" إذا استندنا فقط إلى الخصائص التي تمنحها لنا الموسوعة، بل يتوجب تخيل عالم مفترض لبيان السمات التي تجمع بين طرفي هذه الاستعارة. معنى ذلك أننا لو استندنا فقط على الموسوعة وتوقفنا عند الخصائص التي تقدمها لنا فإنه ليس من المعقول أن السماء تبكي لأن صفة البكاء خاصة بالإنسان وليس بالسماء، وبذلك فإنه من المستحيل أن نقرن مشابهة بين الإنسان والسماء، لكن مع افتراض عالما ممكنا تكتسب فيه السماء سمة من سمات الإنسان وهي البكاء والمعنى الاستعاري المقصود في هذه الحالة هو إن السماء تمطر.

## الاستعارة 2: انفجر الرئيس خلال المناقشة

يتمثل المستعار له في هذه الاستعارة في "الرئيس" والمستعار منه "القنبلة" وتتوفر الكلمتان المشكلتان لهذه الاستعارة "الرئيس" و"القنبلة" على مجموعة من الخصائص نذكر منها:

القنبلة	الرئيس
[+ مادة]	[+ إنسان]
[+ لحي]	[+ حي]
[+ جامد]	[+ يتنفس]
[+ لاعقل]	[+ عاقل]

ومع ارتباط هاتين الكلمتين يكتسب الرئيس السمة [+إنفجار] فيصبح من غير المعقول ان ينفجر الرئيس في الواقع، لذا يجب أن نتخيل عالما ممكنا ينفجر فيه الرئيس. هذا ما يساعدنا

<sup>1</sup> - أمبيرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاوض التأويلي في النصوص الحكائية)، ص 198.

على تأويل هذه الاستعارة ففي العالم الممكن يتم فيه اكتساب الطرف الثاني للاستعارة بعض سمات الطرف الأول فيتحقق المعنى الاستعاري. فيستنتج القارئ في تأويله لهذه الاستعارة على تخيل عالم ممكن يكتسب فيه الرئيس سمة لازمة في القنبلة وهي الانفجار.

وبالمثل، أيضاً، فإن القارئ عند تأويله للاستعارة التالية: "ضحك الربيع" يتخيل عالماً ممكناً يكتسب فيه الربيع السمة اللازمة في الإنسان وهي الضحك. ولا يتوقف عند المعنى الذي تقدمه لنا الموسوعة بأنه فصل من فصول السنة. وفي النتيجة عند معالجتنا للاستعارة يجب التأكيد على أن التغيير الاستعاري يجب أن يفهم حرفياً، لكن مع إسقاط محتواه على عالم ممكن، فتأويل الاستعارات يرتكز على تخيل عوالم ممكنة تبكي فيه السماء، ويضحك فيه الربيع، وفيه ينفجر الرئيس.

من خلال المفهومين السابقين "عالم الخطاب" و"العالم الممكن" يضع إيكو خمس قواعد للتأويل السياقي النصي للاستعارة<sup>(1)</sup>، هذه القواعد هي:

- يجب بناء تخطيط أول يعرض مكونات الوحدة الدلالية المستعار منها، وهذا التخطيط يستحضر خصائص تتجلى أهميتها من خلال النص المساعد وتعتبر هذه العملية حسب إيكو المحاولة الافتراضية الأولى.
- يجب تعيين سميم آخر في الموسوعة المناسبة، والذي يجب أن يكون متوفراً على واحد أو مجموعة من السمات المتوفرة في المستعار منه، والسميم الذي يتم تعيينه يصبح مرشحاً للعب دور الوحدة الدلالية المستعار لها.
- يجب اختيار واحدة أو مجموعة من هذه الخصائص أو السمات المختلفة وانطلاقاً منها بناء شجرة فورفورية<sup>(\*)</sup>، بحيث تلتقي هذه الثنائية المضادة عند عقدة عليا في هذه الشجرة.

<sup>1</sup> - ينظر: رشيد الإدريسي، سيمياء التأويل، ص ص 46-47

- يظهر المستعار منه والمستعار له علاقة مهمة عند ما تلتقي خصائصهما عند عقدة معينة من الشجرة الفورفورية التي يتم بناؤها انطلاقاً منها، والحديث عن التشابه والاختلاف لا يتم انطلاقاً من النص المساعد الممكن الذي تتموضع فيه الاستعارة.

- يجب أن نسجل انطلاقاً من الاستعارة المفترضة، أنه يمكننا أن نحدد علاقات دلالية جديدة نثري بها بصفة لاحقة القدرة المعرفية للاستعارة.<sup>(1)</sup>

إن الاستعارة، بمجرد أن تؤول، فإنها تفرض علينا النظر إلى العالم بطريقة جديدة، ولكن من أجل تأويلها علينا أن نتساءل كيف وليس لماذا ترىنا العالم بهذه الطريقة الجديدة. فيمكن للاستعارة أن تبدع حقائق جديدة وعدها بمثابة نبوءات تضمن تحققات وبإمكانها أن تقدم تصويغات لتغيرات سياسية واقتصادية<sup>(2)</sup>. فالاستعارة تتدخل في كل مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتعمل على تغيير هذه المجالات ومثال ذلك الرئيس الأمريكي حين كان يجرب المكبر الصوتي قال: سأمر بتدمير روسيا، فقد أثار هذا الكلام نقاشات عديدة واثارت أطراف سياسية حول القول حتى كادت تقوم حرب بن الطرفين. ويتطلب تأويل الاستعارة تدخل المتلقي والسياق الذي يستند فيه إلى الموسوعة المرتبطة بثقافته، فعملية التأويل مفتوحة ومختلفة باختلاف الموسوعة الثقافية، والاستعارات تعكس القيم التي تحتويها الثقافة وتؤثر فيها في الوقت نفسه.

نتوصل من خلال دراستنا إلى أن نظرة إيكو للاستعارة تختلف عن نظرة البلاغة القديمة، فقد اعتبرها إيكو مركز النشاط البلاغي ككل، وما ركز عليه في موضوع الاستعارة هو الاحتفاظ بطرفي الاستعارة معاً، وذلك لوجود تقاطع بينهما. هنا يلتقي إيكو مع جماعة **M** حين

\* - الشجرة الفورفورية: نسبة إلى فورفوريوس، وهو أحد شراح أرسطو ومناقشيه، وتعد الأساس الذي بني عليه أرسطو نظريته في الاستعارة.

<sup>1</sup> - أمبيرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص ص 303-304.

<sup>2</sup> - ينظر: جورج لايفوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 159.

ذهبت هذه الأخيرة إلى قول إنّ الاستعارة ممكنة بفضل التقاطع الموجود بين الطرفين المكونين لها. لكن نجد إيكو في تأويله للاستعارة يركز على الخصائص التي تقدمها لنا الموسوعة، في حين تربط جماعة لبيج الاستعارة بالانزياح، فالاستعارة ضرب من الانزياح، فكل قول استعماري خارج عن المؤلف أو الكلام العادي انزياح. إضافة إلى تركيز إيكو وجماعة موM على ضرورة العودة إلى المعنى الأصلي للاستعارة، الذي تناوله إيكو تحت مصطلح المعنى الحرفي، والجماعة تسميه الدرجة الصفر أو اللغة المعياري. وما يربط إيكو بجل البلاغيين المحدثين تأكيدهم على أنّ الاستعارة ليست زخرفاً، بل هي أداة المعرفة مقصيين بذلك خاصيتنا الاستبدال والمثابفة، فالتشابه الذي تقوم عليه الاستعارة لا يعني أننا نعوض عبارات بعبارات أخرى، بل نقيم التشابه من أجل القول بالاختلاف، من جهة أخرى ما انفرد به إيكو في عملية التأويل يتم فهم الاستعارة باستحضار السياق والمقام وأنه أعاد

الاعتبار للقارئ وأعطى له حصة الأسد، فالمتلقي له دور كبير في رفع الغموض والالتباس في الاستعارة. وقد ربط هذا بعاملين هما عامل الخطاب والعالم الممكن:

فالأول يفتح باب تأويل الاستعارة على مصراعيه، فتعدد تأويلات هذه الاستعارة وتختلف باختلاف وتعدد السياقات والثقافات التي ترد فيها.

أما الثاني فهو عالم يفترضه القارئ، ويعمل على تحقيق الوحدة الدلالية بين مجموعة الخصائص التي توفرها الموسوعة لطرفي الاستعارة. ويستوجب في معالجة الاستعارة النظر إليها في بعدها الحرفي، ثم يتم إسقاط مضمونها على عالم ممكن، فالتأويل الاستعماري عند إيكو يشترط عالماً ممكناً انطلاقاً من معنى يجب فهمه فهماً حرفياً.

توصلنا في آخر الفصل إلى النتائج التالية:

يعتبر مفهوم الموسوعة بمثابة تطور لمفهوم الشفرة، فالسنن يتمثل في الآلية التي تتحكم فيها قواعد ناتجة عن ما تواضع عليه الناس في المقابل جعل إيكو الموسوعة آلية عامة للتأويل باعتبارها خزان المعارف ونسيج ثقافي يشمل جميع عناصر المعرفة المرتبطة بالإنسان.

وفي دراسة إيكو للاستعارة، ربط تأويلها بالموسوعة الثقافية لذوات الأشخاص المؤولة كما ربط فهمها بالسنن، واعتبر الاستعارة أداة لفهم أفضل للسنن ، من جهة أخرى رفض إيكو المسلمات التقليدية، فالاستعارة ليست أداة زخرف وحسب تقوم على المشابهة بل هي أداة معرفة حاضرة في كلّ خطاباتنا اليومية، ما نلمسه من جديد عند إيكو دراسة الاستعارة في مستويين عالم الخطاب والعالم الممكن، والثاني هو عالم يفترضه القارئ أثناء تأويله للاستعارة يجعلها قابلة للتأويل.

## الخاتمة

ليس هذا البحث إلا قراءة موجزة لبعض آراء ايكو حول مسألة الاستعارة، وقد حاولنا قدر الاستطاعة أن نسجل الجهد الذي انفرد به فيما يخص هذه المسألة، حتى اجتمعت لدينا جملة من النتائج المهمة، تتمثل فيما يلي:

- ارتبط النظر إلى الاستعارة قديما بالفكرة التي ترى أنها تقوم على الاستبدال والمثابفة.
- نقدت الدراسات الحديثة للاستعارة النظرية التقليدية، ورفضت المسلمات التي تقوم عليها كالاستبدال والمثابفة.
- بينت الدراسات الحديثة أن الاستعارة آلية لغوية، تنظم لغتنا وفكرنا، ومعظم أعمالنا اليومية، وهي حاضرة في كل الخطابات العادية منها والأدبية.
- عملت الدراسة التداولية للاستعارة على استحضار متزامن للمتكلم والمتلقي والسياق فتأويل الاستعارة مرتبط أساسا بقصدية المتكلم وربط ذلك بالمقام الذي قيلت فيه.
- ينتج التأويل الاستعاري من التفاعل بين المتلقي والنص، وهذه النتيجة تفرضها طبيعة النص استنادا إلى الموسوعة الثقافية.
- إن الاستعارة في بعدها التداولي تخلق التعاون بين المتكلم والمتلقي، رغم أنها تخرق كل قواعد التخاطب التي أقرتها نظرية التخاطب لدى غرايس.
- تعرف الاستعارات الميئة بأنها استعارات استخدمها الناس فأصبحت شائعة، أي أنها فقدت استعاريتها وأصبحت كلاما عاديا. في المقابل نجد الاستعارات الحية تمثل استعارات جديدة وهي التي نستخدمها في حياتنا اليومية، والتي يصعب تحويلها إلى منطوق حر.

- وظف مفهوم التشاكل في فهم الاستعارة وتحليلها، وهو تكرار الوحدات الدلالية داخل الخطاب، يعمل على إضمار السمات في الطرف الأول للاستعارة ويكسبه سمات جديدة خاصة بالطرف الآخر لها.
- إن فهم الاستعارة وترجمتها يتطلب خصائص سياقية تتحكم فيه قوانين ثقافية واجتماعية كذلك يشترط تحقيق سياق التلقي في اللغة المترجم إليها. فالترجمة الصحيحة والسليمة للاستعارة تشترط تفاعلا بين ثقافة اللغة الأصلية واللغة المترجم إليها.
- إن تأويل الاستعارة يتطلب تنشيط خصائص الموسوعة، وكذلك الرجوع إلى محتوى أو مضمون التعبيرات المشككة للاستعارة.
- لا يمكن رفع غموض الاستعارة إلا في إطار سياق ومقام معينين.
- اعتبر إيكو الاستعارة أداة المعرفة، فهي وسيلة يتم بها التعرف و تفسير الغامض والمبهم من أجل التواصل، ورفض فكرة كون الاستعارة مجرد زخرف تقوم على الاستبدال والمشابهة.
- إن تأويل الاستعارة يختلف باختلاف الثقافات، حيث تعمل الموسوعة الثقافية على فتح باب تأويل الاستعارة على مصراعيه.
- يرتبط فهم الاستعارة وتأويلها بعالمين هما عالم الخطاب و العالم الممكن الذي هو عالم يفترضه القارئ أثناء تأويل الاستعارة.
- لقد عدّ البحث في الاستعارة في الفكر المعاصر، مبحثا مهما ساهم في تجديد علم البلاغة.

الخاتمة

## قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

. المراجع باللغة العربية:

- أرسطو طاليس، فن الشعر، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دت.
- ايكو أمبيرتو، السيمائيات و فلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2005.
- ايكو أمبيرتو، التأويل بين السيمائيات و التفكيكية، تر: سعيد بنكراد، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004.
- ايكو أمبيرتو، التأويل و التأويل المفرط، تر: ناصر الحلواني، مركز الانتماء الحضاري، سوريا، 1992.
- ايكو أمبيرتو، الأثر المفتوح، تر: عبد الرحمن بوعلي، ط2، دار الحوار و التوزيع، سوريا، 2001.
- ايكو أمبيرتو، العلامة، (تحليل المفهوم و تاريخه)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2007
- ايكو أمبيرتو، القارئ الحكاية، (التعاقد التأويلي في النصوص الحكائية)، تر: أنطوان أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الجزائر، 2008.
- آمنة بلعلی، خطاب الأنساق الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2014.
- آيفور أرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، تر: سعيد الفاشي، ناصر حلواني، افريقيا الشرق، لبنان، 2002 .

- بول ريكور، نظرة التأويل، (الخطاب و فائض المعنى)، تر: سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006.
- جورجلا يكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، تر: عبد المجيد جحفة و عبد الاله سليم، ط1، دار توبقال للنشر، لبنان، 2005.
- جورج لا يكوفو جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال للنشر، لبنان، 1996.
- جوزيف كورتيس، مدخل الى السيميائيات السردية والخطابية، تر: جمال الحضري، ط1، الدار العبية للعلوم ناشرون، لبنان، 2007 .
- أبو الحسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن (في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن )، تح: محي الدين عبد الحميد، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1980 .
- دانيال تساندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.
- رشيد الادريسي، سيمياء التأويل، (الحريري بين العبار والاشارة)، ط1، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2000 .
- ابن الرشيق، العمدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1981 .
- سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، (مدخل لسيميائيات ش س بيرس)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.

- سعيد الحنصالي، الاستعارات في الشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2005
- عبد الاله سليم، بينيات المشابهة في اللغة العربية، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2001.
- أبو عثمان الجاحظ، البيان و التبیین، تح: عبد السلام هارون، ج1 ، دار الجيل، بيروت.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح : محمد محمود شاكر، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989.
- عبد الرحمان طه، اللسانو الميزان (أوالتكوثرالعقلي)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998.
- أبو الفتح بن الأثير، المثل السائر، تح: الشيخ كامل عويضة، ج2 ، دار الكتب العلمية، بيروت 1998 .
- فرانسوا مورو، البلاغة(مدخل لدراسة الصورة البيانية)، تر: محمد الولي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2003 .
- فيصل الأحمر، معجم السيمائيات، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010 .
- أبو القاسم الآمدي، الموازنة، تح: أحمد صقر، ج2 ، دار المعارف، مصر، 1975 .
- محمد عبد المنعم الخفاجي، عبد العزيز شرف، نحو بلاغة جديدة، مكتبة غريب، القاهرة، دت
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1985.

-محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية و عربية و غربية، ط2، مكتبة دار الأمان، الرباط،  
2005

- أبو الهلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981 .  
- وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل، (قراءة في مشروع ايكو النقدي)، ط1، دار العربية ناشرون،  
بيروت، 2008.

- يوسف أبو العدوس الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ط1، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان،  
1997 .

-المراجع باللغة الفرنسية:

- Groupe u, rhétorique générale, édition du seuil, Paris, 1982.

- John Searle, sens et expression ,les éditions de minuit, Paris 1979.

-المواقع الالكترونية:

-أمبيرتو ايكو، "تأويل الاستعارة"، تر: حسين بوتكلاي، على الموقع:

<<http://www.echat.com/jehat/jehataltaaweel>> ، مارس، 2014 .

- حسان راشدي، " الاستعارة و دلالة النص عند بول ريكور " على الموقع:

<<http://www.ta5atub.com/t1492.topic>>

- عبد اللطيف عماد، "الاستعارة، العالم في حضرة مجازات غرائبية" على الموقع:

<<http://www.chandiabouchra.com>>

- عبد اللطيف محفوظ " الموسوعة، خزان التأويل " على الموقع:

<<http://www.alitihad.ae>> 6 نوفمبر 2014 .

- عيد بلبع، " الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة العلامات، ع23 (أفريل 2005 ) "

<<http://www.balba3tub.com/t1492.topic>>

# الفهرس

## فهرس المحتويات

مقدمة..... 2

### الفصل الأول: المنظور البلاغي للاستعارة

تمهيد..... 7

1- الاستعارة في المنظور التقليدي ..... 8

2- الاستعارة في المنظور الحديث..... 15

3- البعد التداولي للاستعارة..... 23

4- موت الاستعارة وحياتها..... 29

5- التشاكل والاستعارة..... 33

5- 1- مفهوم التشاكل..... 33

5- 2- التشاكل الاستعاري..... 37

6- ترجمة الاستعارة وفهمها..... 41

### الفصل الثاني: السنن وإنتاج الاستعارة عند ايكو وتأويلها.

تمهيد..... 45

1- من السنن إلى الموسوعة..... 45

1- 1- تعريف السنن..... 45

1- 2- أنواع السنن..... 47

2- الوظيفة المعرفية للاستعارة..... 51

3- تأويل الاستعارة..... 60

4- الاستعارة بين عالم الخطاب والعالم الممكن..... 63

الخاتمة..... 75

78.....قائمة المصدر والمراجع

فهرس المحتويات